الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر

كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية

قسم التاريخ

مطبوعة بيداغوجية في مقياس :

تاريخ المشرق الاسلامي

لفائدة طلبة السنة الثالثة تاريخ عام

الدكتور : عمار غرايسة

الموسم الجامعي : 2023-2024

المحاضرة الأولى:

الدعوة العباسية وسقوط الدولة الأموية

(100-132هـ/717-749م).

حكمت الخلافة العباسية بعد سقوط الدولة الأموية أكثر من خمسة قرون إمتدت من سنة 132هـ إلى 656هـ/1256م، وحكم قسم من خلافائها من مدينة بغداد بالعراق، ووصل عددهم إلى سبعة وثلاثون خليفة، وكانت مدة خلافتهم خمسمائة وأربع وعشرون سنة، أما القسم الثاني، فقد حكموا من مصر، بعد سقوط بغداد على يد المغول، ووصل عددهم إلى خمسة عشر خليفة، ومدة حكمهم تصل إلى مائتي وخمس وخمسون سنة ونصف[1].

أولا: النسب العباسي.

ينتمى العباسيون إلى العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشيٌ (ت:32هـ)، وهو عم الرسول الكريم، ولد قبل حادثة الفيل بثلاث سنين، وهو أسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، بثلاث سنين، ويعتبر العباس من سادات بنى هاشم، كانت إليه السقاية والرفادة وعمارة المسجد الحرام، وصديقاً حميماً لأبي سفيان صخر بن حرب[2].

لما بدأت الدعوة المحمدية كان من المخلصين للرسول صلى الله عليه وسلم، ولكنه لم يعتنق الإسلام، حيث أنه أحكم الأمر للرسول مع الأنصار أثناء الهجرة، ولما خرجت قريش في معركة بدر لمحاربة المسلمين تم إكراهه على الخروج معهم، لذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه :"من لقى منكم العباس وطالبًا وعقيلاً ونوفل وأبا سفيان فلا تقتلوهم، فإنهم أخرجوا مكرهين"، وقد وقع العباس في تلك المعركة في الأسر، وفدى نفسه وفدى عقيل ونوفل، ورجع للعيش في مكة، وكان يكتب سراً للرسول صلى الله عليه وسلم بكل تحركات قريش، وكان في كثير من الأحيان يريد الإلتحاق للعيش بجنب الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة، ولكن الرسول كان يأمره بالمكوث بمكة بين قريش، ليزوده بالمعلومات عنهم، فأقام بأمر من الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم هاجر إلى المدينة قبيل فتح مكة المكرمة، وحضر معه الفتح وكان سببًا في إسلام أبي سفيان[3].

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحبه ويكرمه، حضر العباس غزوة حنين، ثم أقام بالمدينة المنورة، وكان الخلفاء الراشدون يحبونه ويكرمونه، كانت وفاته في خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه، سنة 32هـ، وهو ابن

---

[1]- أحمد بن يوسف القرماني: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق: أحمد سعد، عالم الكتب، بيروت، 1416هـ/1996م، ص.69.

[2]- حسين عطوان: الدعوة العباسية تاريخها وتطورها، دار الجيل، بيروت، 1415هـ/1995م، ص ص، 87-88.

[3]- محمد الخضرى بك: الدولة العباسية، مراجعة: نجوى عباس، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 1424هـ/2003م، ص ص، 7-8.

88 سنة، ودفن بالبقيع، وقد أعقب عدة أولاد، من أهمهم عبد الله بن العباس الذي سوف يستمر منه عقب بنى العباس، وهو جد الخلفاء العباسيين[1].

عبد الله هو ثاني ولد العباس، ولد قبل الهجرة بسنتين، كان صلى الله عليه وسلم يحبه ودعا لله أن يعلمه التأويل فكان من أعلم الناس بتأويل آيات القرآن. كان عمر رض الله عنه يدخله مع كبار الصحابة في مجلس الشورة. ولاه عثمان موسم الحج سنة 35هـ. ولما بويع علي-رض- كان نصيره فولاه البصرة وأعمالها، ثم تخلى عنه وعاد إلى مكة. أقام في الطائف زمن معاوية، وكان هذا الأخير يجله ويتودد إليه. توفى سنة 68 هـ، وسوف يستمر نسله في ابنه علي[2].

وهو علي بن عبد الله بن العباس، ولد ليلة مقتل علي بن أبي طالب-رض- سنة 40هـ، لذلك سمى على اسمه وكني بكنيته "أبي الحسن"، وكان سيدًا شريفًا بليغاً وهو أجمل قريشي على الإطلاق. أقطعه بنو أمية قرية الحميمة بالشراة(بالأردن اليوم)، فأقام بها، وفيها ولد له أغلب أبناؤه. كانت وفاته سنة 117هـ. وأعقب 22 ذكر و 11 أنثى، من بينهم محمد أكبر أولاده، وفيه سوف يستمر البيت العباسي، وهو الذي سوف يبدأ الدعوة العباسية السرية[3].

محمد بن علي صاحب الدعوة العباسية السرية، هو والد إبراهيم الإمام وأبي العباس السفاح أول خليفة عباسي، وأبي جعفر المنصور المؤسس الحقيقي للدولة العباسية، هو الذي بدأ الدعوة السرية في حياة أبيه سنة 100هـ، في فترة حكم الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز[4]، الذي يعد الخليفة الراشدي الخامس[5].

ثانيًا: انتقال الدعوة من بني هاشم إلى بنى العباس:

يعتقد البعض من المؤرخين المحدثين أن العباسيين الأوائل لم يكن لهم طموح سياسي في صدر الإسلام، ويدللون على ذلك بأن العباس ابن عبد المطلب – عم الرسول صلى الله عليه وسلم، وجد العباسيين- كان يرشح ابن أخيه علي بن أبي طالب للخلافة، ويقدمه دوما على نفسه، ويذكرون كذلك أن عبد الله ابن العباس كان هو الآخر

---

[1]- محمد الخضرى بك: الدولة العباسية، المرجع السابق، ص. 8.

[2]- نفسه، ص. 9.

[3]- نفسه، ص. 9.

[4]- هو عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي، وأمه لأم عاصم بنت عمر بن الخطاب، ولد سنة احى وستين بقرية حلوان، من أعمال مصر، حيث كان والده أميرا عليها، كان نقش خاتمه"عمر يؤمن بالله مخلصاً"، توفي لخمس بقين من شهر رجب سنة احدى ومئة وهو ابن تسع وثلاثين سنة، وكانت مدة خلافته هي نفس مدة خلافة أبي بكر الصديق، وهي سنتان وخمسة أشهر، ودفن بدير سمعان من أعمال حمص. (ينظر، أحمد بن يوسف القرماني: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، المصدر السابق، ص ص، 39-43.).

[5]- محمد الخضرى بك، المرجع السابق، ص 10.

يؤيد علي ابن أبي طالب، ويقدمه مثل أبيه على نفسه، حتى اذا ما اغتيل علي ابن أبي طالب انصاع عبد الله بن العباس للأمويين، وبايعهم بالخلافة، واعتزل السياسة وتفرغ للعلم[1].

لكن يبدو أنّ هذا الرأي يجانب الصواب، اذ كان العباس ابن عبد المطلب له طموح سياسي على الرغم من أنه لم يظهر تطلعا إلى الخلافة، فقد كان في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم يسأله أكثر من مرة تعينه على ولاية من الولايات، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يستجب له، وكان يرد عليه، قائلا: " نفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها"، وفي بعض الروايات أنّ علي بن أبي طالب كان يدفعه إلى مراجعة الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك، فسأله أن يستعمله على الصدقات، فقال له الرسول: ما كنت لأستعملك على غسالة ذنوب الناس، ثم طلب منه علي أن يسأله الحجابة، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: أعطيكم ما هو خير لكم منها، السقاية بروائكم، ولا تُزْرُوا بها[2].

وذكر بعض المؤرخين أن العباس أراد طلب من الرسول صلى الله عليه وسلم جعل الخلافة لبنى هاشم، فقد نقل على سيدنا علي –رض- أنه كان يقول بالكوفة: ياليتني كنت أطعت عباسًا، حيث قال العباس لعلي: اذهب بنا إلى رسول الله، فإن كان هذا الأمر فينا وإلاّ أوصى بنا الناس، قال: فأتينا النبي صلى الله عليه وسلم، فسمعوه يقول: لعن الله اليهود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجدًا ! فخرجوا من عنده، ولم يكلموه في الأمر[3].

وحينما أدركت الرسول صلى الله عليه وسلم الوفاة دون أن يسمى خليفته، تاركاً للمسلمين إختيار حاكمهم بأنفسهم، أدرك العباس – وهو الذي لم تكن تعوزه الفطنة- أن السابقة في الإسلام ستكون عاملا حاسما في إختيار المسلمين لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما كانت السابقة تعوز العباس الذي لم يعلن إسلامه إلا قبيل فتح مكة المكرمة، فقد رشح ابن أخيه علي بن أبي طالب أحد أسبق السابقين إلى الإسلام، وبعتباره ممثلا لبنى هاشم، وكان العباس يطمح إلى أن ينال بعض السلطان من وراء تولي ابن أخيه الخلافة[4].

فعندما توفى الرسول صلى الله عليه وسلم، قال العباس لعلي: "ابسط يدك فلنبايعك، فقبض يده"، ولما بويع أبي بكر بالخلافة تخلف عن البيعة ومال إلى علي، وامتنع بنو هاشم عن مبايعته حتى بايعه علي بعد ستة أشهر[5].

بايع العباس وعلي عمر بن الخطاب وظلا مدة حياته محترمين مطيعين، وكان للعباس منزلة رفيعة في أيام أبي بكر الصديق وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وكان الصحابة يُقدِّرونه ويقبلون قوله ويرضون حكمه، وكان عمر رض الله عنه يستسقى به فتنزل الأمطار، وكان العباس يلازم عمر في حلّه وترحاله لايفارقه أبداً، وقد أبعده

---

[1]- محمد بركات البلى: الدعوة العباسية "ثورة بنى العباس على الخلافة الأموية"، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، ص. 05.

[2]- حسين عطوان، المرجع السابق، ص. 92.

[3]- نفسه، ص. 93.

[4]- محمد بركات البلى، المرجع السابق، ص.05.

[5]- حسين عطوان، المرجع السابق، ص. 96.

عن الولاية والإمامة اقتداء بموقف الرسول صلى الله عليه وسلم، وموقف أبي بكر، وخوفًا من أن يستأثر بنو هاشم بالنبوة والخلافة معًا[1].

وحين أستخلف عثمان بن عفان بعد مناظرات طويلة بين رجال الشورى الذين عينهم الخليفة عمر، من أجل اختيار الخليفة من بعده، كان العباس يرى أن رجال الشورى قد اتبعوا أهواءهم[2]، اذ يروى أنه قال لعلي: "احذر هذا الرهط(أهل الشورى) فانهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الأمر حتى يقوم لنا به غيرنا"[3].

توفى العباس بن عبد المطلب في أواخر خلافة عثمان سنة 32هـ، وقد إتضحت أهدافه السياسية من وراء سعيه لتولية علي بن أبي طالب الخلافة، إذا قال لعلي حين استخلف عثمان بن عفان:"ما قدمتك قط إلاّ تأخرت، قلت وقد احتضر النبي صلى الله عليه وسلم، تعالى فاسأله عن هذا الأمر لمن بعده، فقلت أكره أن لا يقول لكم فلا نستخلف أبداً، ثم توفى، فقلت أبايعك فلا يختلف عليك إثنان، فأبيت ثم توفي عمر، فقلت أطلق الله يدك وليس عليك تبعة فلا تدخل في الشورى، فأبيت فما الحيلة؟"[4].

ترك العباس عقباً كثيرًا أشهرهم عبد الله بن عباس، وهو ثاني أولاده، وتقول بعض الروايات بأنه لم يعلم أن أحدًا منهم كان يتطلع إلى الخلافة أو يأمل أن تكون له أو لأحد من أولاده[5]. لكن هذا الأمر يجانب الصواب في رأيي، فقد سار بنو العباس على نفس إستراتيجية والدهم، وواصلوا تقديم علي بن أبي طالب على أنفسهم، وأيدوا حقه في الخلافة، وعلت مكانة عبد الله بن العباس من بين إخوته، ولا نعنى بذلك فقط مكانته العلمية التي ذاع صيتها، حتى قيل عنه أنه أعلم الصحابة بالقرآن، وتسمى بترجمان القرآن، ولكننا نعنى كذلك مكانته السياسية، اذ هيأت له الظروف أن يلعب دور الوسيط بين الأطراف المتنازعة ابان فتنة عثمان، فقد انتدبه الخليفة للموسم الحج بالناس أثناء حصاره، فأبعده ذلك الإنتداب أن يتهم كغيره في دم عثمان[6].

وبعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان سنة 35هـ، تمت مبايعة سيدنا علي رض بالخلافة، وأمضى سنوات حكمه في حرب المخالفين له في البصرة والنهروان وصفين[7]، وكان عبد الله بن العباس على صلة طيبة بأم المؤمنين عائشة –رض-، لذلك إنتدبه علي بعد توليه الخلافة ليلعب دور الوسيط لمفاوضة طلحة والزبير على الصلح في معركة البصرة، ومع أنه فشل في تلك الوساطة إلا

---

[1]- حسين عطوان، المرجع السابق، ص ص، 93- 95.

[2]- محمد الخضري بك، المرجع السابق، ص. 11.

[3]- محمد بركات البلى، المرجع السابق، ص. 06.

[4]- نفسه، ص ص، 05-06.

[5]- محمد الخضري بك، المرجع السابق، ص. 11.

[6]- محمد بركات البلى، المرجع السابق، ص ص، 06-07.

[7]- محمد الخضري بك، المرجع السابق، ص ص، 12-13.

أن قيامه بتلك الوساطة دليلا عن مكانته السياسية[1].

ولما حمى القتال بين علي ابن أبي طالب ومعارضيه كان عبد الله بن العباس واخوته في معسكر علي ابن أبي طالب، مجسدين الإستمرار في نفس سياسة والدهم، في تقديم ونصرة علي بن أبي طالب باعتباره ممثلا لبنى هاشم، لذا اعتمد الخليفة علي عليهم واستعملهم على الولايات، فولى عبيد الله بن العباس على اليمن وولى أخوه قثم بن العباس على مكة وولى عبد الله بن العباس على البصرة، وجعل إليه الصدقات والجند والمعاون كلها، فأصبح العباسيون لعلي بن أبي طالب أشبه بما كان عليه الأمويون لعثمان بن عفان حتى لفت ذلك أنظار شيعة علي وثار سخطهم وغظب له مالك الأشتر-أحد أشد أنصار علي وبطل من أبطال موقعة صفين- فقال:" علام قتلنا الشيخ(يقصد عثمان) اذ اليمن لعبيد الله والحجاز لقثم والبصرة لعبد الله والكوفة لعلي"[2].

لم تَصْف الخلافة يومًا واحدًا لعلي ابن أبي طالب، إلى أن اغتاله أحد الخوارج في رمضان سنة 40 هـ، بالكوفة، فرأت الشيعة أن تكون الخلافة في ابنه الحسن، فتم مبايعته، ولكن بعد فترة رأى هذا الأخير بأن الذين لم ينل منهم أبوه ما يرجوه لا يحسن الإعتماد عليهم، ففضل الصلح مع معاوية بن أبي سفيان، وتنازل له عن الخلافة من طوع نفسه، مفضلا بذلك جمع كلمة المسلمين المتفرقة منذ سنة 35هـ، ثم ارتحل وإستقر بالمدينة المنورة حتى توفى بها سنة 50هـ[3].

على الرغم من أن الحسن بن علي تنازل عن الخلافة لمعاوية من طواعية نفسه، إلاّ أنّ بعض المؤرخين اتهموا عبد الله بن العباس بأنه سارع إلى ممالاة الأمويين وسبق الحسن إلى معاوية، فأخذ منه الأمان واشترط لنفسه على ما أصاب من أموال بيت مال البصرة، وسواء كان هذا الإتهام صحيحا أم باطلا، يبدو أن الأموال التي استحوذ عليها عبد الله ابن العباس قد جعلت بنيه في سعة من العيش، ومكنتهم فيما بعد من الإنفاق على الدعوة العباسية[4].

ظل معاوية يسوس الناس إلى سنة 60هـ بما عرف عنه لين العريكة، وسخاوة اليد، وسكنت الدعوة بالخلافة لآل البيت، وخبت نار التشيع لعلى وأبنائه، إلاّ أنها كانت مستكينة في أنفسهم ينتظرون الفرصة المواتية للهبوب، ولما ترك معاوية الخلافة لإبنه يزيد سنة 60هـ، هبت أعاصير الفتنة في المدينة ومكة والكوفة، وأهل هذه الأخيرة كانوا متشيعون للحسين بن علي –رض-، فأرسلوا له الإلتحاق بهم ليبايعوه بالخلافة وينزعوا من أعناقهم بيعة يزيد، فلبّ الحسين طلبهم، ولو كان يطلع على الغيب ما لب طلبهم، لأنه قُتل في أثناء طريقه إليهم في منطقة كربلاء سنة 61هـ[5].

---

[1]- محمد بركات البلى، المرجع السابق، ص ص، 06-07.

[2]- نفسه، ص. 07.

[3]- محمد الخضري بك، المرجع السابق، ص ص، 12-13.

[4]- محمد بركات البلى، المرجع السابق، ص.07.

[5]- محمد الخضرى بك، المرجع السابق، ص.13.

لقد أظهر عبد الله بن العباس وعيًا سياسياً ودراية بالأمور، فهو لم يبرز طموحًا إلى الخلافة كممثل لبنى هاشم في حياة الحسن والحسين ولدى علي ابن أبي طالب، وسبطى الرسول صلى الله عليه وسلم، كما أظهر فهما عميقا للوضع السائد حينما نصح الحسين بن علي ألاّ يخرج إلى العراق، وقد إنتهى بمقتله في العاشر من محرم سنة 61هـ بكربلاء، حيث أتى الحسين عبد الله بن العباس فقال: "يا بن عم، انى أتصبر ولا أصبر، انى أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال، إن أهل العراق قوم غدر فلا تقربنهم، أقم بهذا البلد(يقصد مكة)، فانك سيد أهل الحجاز، فان كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب اليهم فلينفوا عدوهم ثم اقدم عليهم، فان أبيت إلاّ أن تخرج فسر إلى اليمن، فان بها حصونا وشعابا، وهي أرض عريضة طويلة ولأبيك بها شيعة، وأنت على الناس في عزلة فتكتب إلى الناس وترسل وتبث دعاتك، فانى أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحب في عافية"[1].

هكذا أظهر عبد الله بن العباس دراية عميقة بطبيعة الأطراف، وصلاحياتها لبث الدعوة واعلان الثورة في غير خطورة على صاحب الدعوة الذي ينبغى أن يختفى، ولا بد أن العباسيين قد ورثوا عن جدهم هذا الوعي السياسي، واستلهموه في بدأ ثورتهم على الحكم الأموي[2].

لقد صدق حدس عبد الله بن العباس حيث لم تقم الشيعة بأي من المساعدة للحسين بل ظلوا ماكثين في بيوتهم بالكوفة، وقتل الحسين كما وضحنا سابقا، وإستمر يزيد بن معاوية يحكم وبعد وفاته سنه 64هـ، عظم أمر ابن الزبير في الحجاز وبويع بالخلافة من طرف أهل الحجاز ومصر والعراق، وأبت بنو هاشم الذين كانوا متواجدين بمكة المكرمة: كمحمد بن علي المشهور بابن الحنفية، وعبد الله بن عباس، مبايعته، وظهر في هذه الأثناء رجل أراد أن ينتفع من وراء هذه الفتن، وأراد الإستحواذ على العراق لنفسه، مستعيناً بما تضمره قلوب أهل الكوفة من التشيع لأهل البيت، وهو المختار بن أبي عبيد الثقفى، فالتحق بالكوفة لابساً ثوب التشيع ناعيًا مقتل الحسين، وفي نفس الوقت داعيًا بالإمامة من بعد مقتل الحسين إلى أخيه محمد بن علي بن الحنفية- ابن علي بن أبي طالب من زوجته الثانية غير فاطمة بن الرسول-، الذي صار بعد موت أخويه أكبر أبناء علي –رض-، وقد تمكن المختار جلب لصفه رؤساء الشيعة بالكوفة، وأرسل إلى محمد بن الحنفية جندًا يخلصونه من الحبس الذي كان فيه بمكة المكرمة فنجحوا، ولكن لم يطل حبل المختار بالكوفة لأن عبد الله بن الزبير قضى عليه وعلى حركته في المهد[3].

بايع محمد بن علي بن الحنفية عبد الملك بن مروان بعد أن استقرار الأمر له، وقضى على فتنة ابن الزبير بالحجاز، ودانت له باقى الأقاليم الإسلامية، وبقت الشيعة تؤمن بإمامة محمد بن الحنفية إلاّ أنه مغلوب على أمره، وعندما مات غالى البعض في أمره فأنكروا وفاته، وقالوا انه تغيب قليلا وسوف يرجع، وفي هذه الأثناء اضطربت أفكار الشيعة، فمنهم من بايع بالإمامة لإبن الحسين علي الملقب: زين العابدين، وقد بايع هذا الأخير يزيد بن معاوية ومن بعده عبد الملك بن مروان، ولم يعرف عنه أنه طالب الخلافة لنفسه، ورغم ذلك فإن بعض الشيعة حصروا

---

[1]- محمد بركات البلى، المرجع السابق، ص. 08.

[2]- نفسه، ص. 08.

[3]- محمد الخضرى بك، المرجع السابق، ص ص، 13-14.

الخلافة في نسله، لأن الحسين على حد زعمهم أنه الوحيد الذي قُتل دون الخلافة، والواجب حصر الخلافة في عقبه، أما الفئة الثالثة من الشيعة، فقد جعلوا الإمامة في جميع أبناء علي بن أبي طالب من فاطمة –رض-، وأصبحت هذه الفئة تعرف باسم الشيعة الإمامية[1]. وقد توافرت لفرقة الإمامية السطوة والشهرة، وتتابع فيهم أثر الأئمة، حتى صاروا اثني عشر إمامًا، آخرهم محمد المهدي الذي اختفى في سنة 260هـ، لذا دُعي بالمهدي المنتظر الذي سيظهر ليملأ الأرض عدلا[2].

أما الفئة الثالثة فاستمروا في ولائهم لإبن الحنفية، وجعلوا البيعة من بعده في ابنه أبا هاشم، وأصبحت هذه الفرقة تسمى الكيسانية، وهم أتباع كيسان وهو لقب للمختار بن أبي عبيد[3]. وقيل أن كيسان المكنى أبو عمر، هوصاحب المختار بن أبي عبيد الثقفي، وقيل أنّ كيسان، هو مولى عليّ بن أبي طالب، وعلى الأرجح هو تلميذ محمد بن الحنفية الذي كان خزّان علم ومعروف بفقهه[4]. وتعرف هذه الأخيرة بالهاشمية نسبة لأبى هاشم بن محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب.

هناك اختلاط وضبابية حول علاقة المختار بابن الحنفية، وحول نشأة مصطلح الكيسانية، فهناك من المؤرخين من يذكر أن الكيسانية هم أتباع المختار، في حين نعرف بأن الكيسانية هم الذين اشتهروا بموالاة محمد بن الحنفية وابنه أبي هاشم بعده، وعندما خضع العراق حتى حدود أرمينية للمختار جاهر بأن جبريل ينزل عليه ويأتيه الوحي من الله، وإدعى النبوة، ولم يبايع محمد بن الحنفية بالخلافة، ولحسن الحظ قتله مصعب ابن الزبير سنة 67هـ، وقضى على أتباعه القليلين بعد حصارهم في دار الإمامة بالكوفة، والنقطة الثانية التي نشير إليها أن ابن الحنفية تبرأ من أعمال المختار، عندما أرسل المختار رجاله إلى مكة لتخليص ابن الحنفية، وقال لهم بأن صاحبهم كاذب منافق، فالمختار كما يتضح من الروايات كان بعيد الطموح يضع عينه على السلطة، ويتحين الفرصة السانحة لركوبها، متخذا شتى الذرائع، لذلك إستغل الشيعة ومن هنا كان محمد بن الحنفية يتبرأ منه[5].

كان هناك إلى جانب العلويين الذين تقسمتهم سيوف الأمويين، دعوة صامتة تعمل في الخفاء دون ضجيج، تزعمها بنو العباس، فؤلاء أيضا كانوا سعاة لطلب الخلافة الإسلامية، وكلا الطرفيين العلويين والعباسيين، ينتمي إلى أهل البيت، وكلاهما من بني هاشم، وبالتالي من قريش، وعندما آنس العباسيون الذين كانوا يسكنون في قرية الحميمة، في أرض الشراة من أعمال البلقاء بالشام، تضعضع الحكم الأموي، نهدوا للعمل السري، وكان صاحب دعوتهم محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، وقد لقبوه بالإمام[6].

---

[1]- محمد الخضرى بك، المرجع السابق، ص ص، 14-15.

[2]- أحمد عُلبيّ: العهد السرّيّ للدعوة العبّاسيّة أو من الأُمويين إلى العبّاسيين، دار الفرابي، بيروت، 2010م، ص ص، 54-55.

[3]- محمد الخضرى بك، المرجع السابق، ص ص، 14-15.

[4]- أحمد عُلبيّ، المرجع السابق، ص ص، 55-56.

[5]- نفسه، ص .51 فما بعدها.

[6]- نفسه، ص ص، 57-58.

وللتاريخ شؤون عجيبة، وفيه صدف غير مرتقبة، وذلك أن فرقة الكيسانية بايعت، إثر وفاة محمد بن الحنفية سنة 81هـ، وفق وصيته، ابنه عبد الله المكنى بأبي هاشم، وبذلك إنتقلت إليه الإمامة بما تمثّل من ثقل علميّ وسرّ بليغ. كان أبي هاشم بن محمد الحنفية يفد على الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك، وقد أدرك هذا الأخير طموحات أبي هاشم، خاصة أنه كان قائما على أمر الشيعة الكيسانية، يؤدون له الخراج، فأسر إلى رجاله فنصبوا خيامهم على طريق أبي هاشم، وعرضوا عليه لبنهم المسموم، فلما إستقر اللبن في جوفه أحس أبا هاشم بنفوذ السم في جسمه، وهو في طريق عودته إلى المدينة المنورة، فقصد مدينة الحميمة التي تعتبر مقر علي بن عبد الله بن العباس، وأوصى له بالإمامة، وأطلعه على أمور الدعوة، وأعطاه كتب الشيعة وصرف إليه أنصاره من الشيعة، كما أعطاه كتاب موجه للدعاة، وكان ذلك في سنة 98هـ[1].

وكان علي بن عبد الله العباسي مهيأ لزعامة بنى هاشم رغم أنه اصغر اخوته سنا، فقد كان وسيما، تقيا، وكان أجمل قرشي على وجه الأرض، وأكثرهم صلاة، وكان يقال له السجاد، لكثرة عبادته وفضله، قد انتقل من دمشق للعيش في الحميمة في سنة 95هـ، وقد عمر طويلا اذ توفي سنة 117هـ، عن عمر ناهز ثمانى وسبعين سنة، وقد ساعدته عدة ظروف لتزعم بني هاشم بدون منازع عند نهاية القرن الأول الهجري، فقد خلا البيت العلوي بأفرعه الثلاثة من زعيم يبايعه، بعد أن توفى كل من: محمد بن الحنفية سنة 81هـ، والحسين المثنى سنة 78هـ ثم زين العابدين علي بن الحسين سنة 94هـ، وأخيرا أبو هاشم عبد الله ابن محمد بن الحنفية سنة 98هـ، فأصبح علي بن عبد الله بن العباس شيخ بنى هاشم، فكان اذا قدم من الحميمية التي اتخذها سكنا إلى مكة حاجاً أو معتمراً، عطلت قريش مجالسها في المسجد الحرام، وهجرت مواضع حلقاتها ولزمت مجلس علي بن عبد الله العباسي، إجلالا له وتعظيماً[2].

قيل أن علي بن عبد الله كان أول العباسيين في إظهار طموحاته لنيل الخلافة، وأنه أول من أعلن بأنها ستؤول إلى بنيه، إلاّ أن أكثر العباسيين طموحاً كان ابنه محمد الذي كان يمتاز بشخصية قوية في البيت العباسي، اغتنم هذا الأخير الوضع الحرج الذي كانت تمر به الدعوة الهاشمية، وأخذ الإمامة لنفسه، وبدأ من تلك السنة 98هـ يفكر في تنظيم الدعوة العباسية سرا[3].

خاصة إذا علمنا أن هناك رواية أخرى تقول: بأن أبا هاشم ترك الدعوة لمحمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وليس لوالده علي، وأطلع محمد بن علي صاحب الدعوة العباسية على خبايا دعوته، ودفع إليه بكتبه وهي كتب الدعاة، وأوصى له ولولده بالإمامة من بعده، وأوصاه بأصحابه الذين كانوا يرافقونه، ويكتب إلى شيعته في العراق وخراسان، بتنفيذ ما ارتآه، كما طلب أبو هاشم إلى شيعته بالطاعة لمحمد بن علي، وهو أول من قام بالدعوة

---

[1]- محمد الخضرى بك، المرجع السابق، ص.15.

[2]- محمد بركات البلى: الدعوة العباسية، المرجع السابق، ص. 09.

[3]- نفسه، ص.15.

السرية العباسية[1].

هناك عدة عوامل جعلت أبا هاشم يترك الإمامة لمحمد العباسي، من بينها: أن أبا هاشم إلتقى بمحمد العباسي بالشام وأحسن صحبته، لذلك عندما عرج على الحميمية وأحس بدنو أجله وضياع الدعوة الهاشمية من يده، أعطاه الإمامة، وخاصة أنه لا عقب له غير البنات[2]، وهناك بعض الروايات تقول: أن محمد بن علي العباسي كان على صلة وثيقة بأبي هاشم عبد الله ابن محمد بن الحنفية، اذ تتلمذ عليه في المدينة المنورة، وقد إعتبر أبا هاشم الذي لم يكن له ولد ذكر محمد بن علي العباسي كولده، لذلك صرف الشيعة إليه[3]. ولا ننسى كذلك أن الخلاف كان على أشده بين فرق الشيعة نفسهم، وكل فرقة تنفي أفكار وأراء الفرقة الأخرى وتصور رأيها، ولاشك أن هذا الأمر ساهم في عدم ترك الدعوة إلى الشيعة من أبناء الحسن والحسين، لأنهم لا يعترفون بإمامة ابن الحنفية.

لا تزال وصية ابي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية لمحمد بن علي العباسي مثار جدل بين المؤرخين والباحثين، فيثبت البعض صحتها وينكرها البعض الأخر، والمؤرخ المدقق لا يمكنه تجاهل كثير من علامات الاستفهام التي تطرح نفسها حول تلك الوصية، فالهاشمية نفسهم –أتباع أبي هاشم- اختلفوا بشأن هذه الوصية، فلم تُسلم بصحتها سوى فرقة واحدة من خمس فرق، فضلا عن هذا فان وفاة أبي هاشم بهذه الطريقة المأسوية دون وريث شرعي ينازع العباسيين فيما إدعوه، قد يوحي بأن العباسيين دبروا ببراعة واحكام أمر تلك الوصية، واختاروا الشخص المناسب لتحقيق أغراضهم، ومع ذلك فان البدايات الأولى للدعوة العباسية واعتمادها على دعاة الهاشمية لشواهد قوية على أن تلك الوصية لم تكن من محض الإدعاء العباسي[4].

ثالثا: تنظيم محمد للدعوة.

كان محمد بن علي العباسي هو أول من نظر ونظم للدعوة العباسية، وكان ذلك في سنة 100هـ، أثناء خلافة عمر بن عبد العزيز، حيث وجد الفرصة المناسبة لنشاط أعداء الأمويين، ولبدء الدعوة[5].

وقد كان التنظيم العقدي في فترة التحضير للثورة ينم عن عبقرية فذّة في الإعداد والترتيب، فقد إبتدع العباسيون نهجاً في التنظيم السري، أضحى مثالا يحتذى به، فقد طبقته بعض الحركات في تأسيس دولهم، كالفاطميين والقرامطة، ويقوم هذا التنظيم على السرية المطلقة، والسبب المقنع الذي جعل العباسيون يفضلون العمل في السرية هو الكوارث التي حلت بآل البيت طيلة الحكم الأموي، وما إنجر عليها من قمع للحركات العلوية

---

[1]- أحمد عُلبيّ، المرجع السابق، ص 63. فما بعدها.

[2]- نفسه.

[3]- محمد بركات البيلي، المرجع السابق، ص.10.

[4]- نفسه، ص ص، 11-12.

[5]- عبد العزيز الدوري: العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1997م، ص.22.

المعارضة، وما نتج من إظطهاد لزعمائهم بشكل خاص، كي لا تقوم لهم قائمة[1].

تأسست الدعوة العباسية السرية حول إمام من آل البيت، يقوم بئدارة خيوط الحركة السرية، ويوجه النقباء والدعاة، وقد أدرك الإمام محمد بن علي العباسي(118-125هـ)، الذي ألت إليه الدعوة، أن نقل حق الإمامة من بيت إلى بيت آخر لا بد أن يسبقه إعداد الأفكار وتهيئة النفوس، لتقبل الوضع الجديد، لذلك التزم جانب الحيطة والحذر حين طلب من أتباعه دعوة الناس إلى إمامة آل البيت دون تسمية أحد منهم، وإختار شعار رنان لجلب الأتباع هو"الدعوة لآل البيت"، مُخفيا بذلك أطماعه في الخلافة، وقد خدع هذا الشعار الكثير من المتعاطفين مع الدعوة، إذ ظنوا أنهم يعملون على إعلاء خلافة أبناء علي بن أبي طالب[2].

رأى الإمام محمد بأن الدعوة يجب أن تتخذ منطلقاً بعيداً عن مركز الخلافة الأموية بالشام، لذلك إتخذ من الحميمية مقراً رئيسياً له، منه تنطلق التعليمات والأوامر، وقد تحطمت عدة عوامل في إختيار الحميمية لتكون مقر للدعوة، من بينها موقعها الجغرافي المهم، فهي تقع على خط القوافل التجارية والطريق الذي تسلكه بعثات الحجيج من جهة آخرى، كما أنها كانت بعيدة عن المسرح السياسي، عكس الحجاز والعراق، فمن الحميمة أخذ محمد ينظم الدعوة، ويرسل الدعاة والنقباء إلى الجهات الملائمة على رأسها الكوفة وخراسان، وقد أمر دعاته بالتركيز على خراسان التى كان يسكنها القبائل العربية والموالي الغاضبين على حكم الأمويين، وهي مكان مناسب لاستقطاب الأنصار لجيش الثورة، أما سبب إختار الكوفة، لأنها معروفة بولائها لآل البيت[3]. مع أن الإمام لم يأمل في هذه الأخيرة كثيراً، على اعتبارها علوية الميول، لذلك اتخذها مقراً لداعي الدعاة فقط، ونقطة وصل بين مركز الدعوة الرئيسي بالحميمة وخراسان، هذه الأخيرة التي فضلها الإمام على غيرها من الأقاليم لبعدها عن حاضرة الخلافة الأموية، ولأن أحوالها كانت مهيأة لقبول الدعو العباسية، فعلى رغم ميلهم الطبيعي إلى آل البيت، فهم لم يتمسكون بامام معين من آل البيت، ومن ثم يسهل تقبلهم إمامة العباسيين[4]. وقد أثبت هذا التنظيم الدقيق مدى تفهم محمد الإمام الوضع السياسي لذلك الوقت، وفهمه توزيع الولاءات السياسية في مختلف الإقاليم.

نظم الإمام محمد الدعاة إلى قسمين، يختص كل واحد منهما بمركز من مراكز الدعوة، فكانت أولاهما بالعراق ومركزها الكوفة، والأخرى في خراسان ومركزها مرو الشاهجها، وقد تم تخصيص الكوفة لإقامة مركز داعى الدعاة، وقد حددت اختصاصاته في: توجيه الدعاة لبث الدعوة في الأقاليم، وأن يكون واسطة بين الإمام والدعاة، ينقل اليهم كتبه وتعاليمه، وينق إليه كتبهم وأحوالهم والأموال التي يحصلونها من شيعته، والتي كانت تسمى النفقات، وكان أول من تولى منصب داعى الدعاة سلمة بن بجير، لكنه لم يباشر مهامه لأنه توفى في طريقه إلى الكوفة، عقب خروجه من عند الإمام العباسي، فقام مقامه أبو رباح ميسرة النبال، الذي استدعاه الإمام محمد

---

[1]- محمد سهيل طقوش: تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، بيروت، 1430هـ/2009م، ص. 18.

[2]- نفسه، ص ص، 19-20.

[3]- نفسه، ص ص. 20-21.

[4]- محمد بركات البيلى، المرجع السابق، ص 13.

والقى إليه تعاليمه ووجهه إلى الكوفة عند بدء الدعوة العباسية سنة 100هـ، وقد باشر ميسرة مهامه، فكانت تأتيه كتب الدعاة فينقلها إلى الإمام، كما كان يوجه الرسل إلى خراسان سنة 102هـ لإستطلاع أحوالها وتنشيط الدعوة فيها[1].

توفى ميسرة في سنة 105هـ، ولحسن حض الدعوة أنه في هذه السنة انظم للدعوة بكير بن ماهان، الذي رجع من السند، وبحوزته أربعة قضبان فضية وقضيب من ذهب، فأعطى ماله كله لمحمد صاحب الدعوة، وأصبح له معه صلة شخصية، وبين سنة 107-108هـ، عين في مكان ميسرة، فأرسل بكير الدعاة إلى خراسان، وفي سنة 118هـ أرسل ابن ماهان عمار بن يزيد إلى خراسان ليترأس الدعاة فيها، فبدل اسمه إلى خداش، ولكنه قبض عليه من طرف الوالى الأموي وقتله، وفي سنة 126هـ، أرسل الإمام ابراهيم بكير بن ماهان إلى خراسان ليأخذ له البيعة من الدعاة، وفي سنة 127هـ توفي بكير وتم تعيين أبا سلمة حفص بن سليمان الخلال لرئاسة الدعوة بالكوفة[2].

يمكن القول أن الكوفة كانت مركز الدعوة، ومقر الداعي الأول للإمام، وأن الدعاة كلهم كانوا من الموالي الإيرانيين من الباعة وأصحاب الحوانيت، أما العرب فكانت مراكزهم ضعيفة، وإنّ المعلومات عن بدء الدعوة في خراسان مرتبكة، والثابت أنها بدأت من الكوفة، وأنّ الدعاة كانوا كوفيين حتى دعوة خداش، وكان سير الدعوة بطيئًا في أول الأمر، فلما جاء خداش لاقى نجاحًا كبيراً، حيث التف حوله أهل مرو، ولعله كان المؤسس الحقيقي للحزب العباسي بمرو، لذا لا نستغرب السماع عن دخول الشيوخ المحليين في الدعوة لأول مرة سنة 117هـ[3].

أما دعاة خراسان، فقد وجه الامام محمد الفوج الأول منهم سنة 100هـ، وكان يتكون من ثلاثة من الدعاة، هم: أبو عكرمة السراج، ومحمد بن خنيس وحيان العطار، فأتوها وعليها الجراح ابن عبد الله الحكمى واليا من قبل الأمويين، وقد تم اختيار سنة 100هـ لبدء الدعوة العباسية، وقد حاول العباسيون إضفاء طابع ثيوقراطي على تلك السنة، ووصفوها بأنها سنة الحمار، التي يرجى فيها انتقاص امر بنى أمية، وفي حقيقة الأمر أنّ الإمام محمد رأى في سياسة اللين التى انتهجها الخليفة عمر بن عبد العزيز الفرصة السانحة لبدأ الدعوة، وقد أثبتت الأحداث الاحقة مدى حكمة وفطنة الإمام محمد، فقد كانت الإستجابة للدعوة كبيرة[4].

يُنسب إلى عكرمة السراج أنه قام بتكليف من الإمام العباسي بتنظيم الدعوة في خراسان، وأنشأ مجالسها، فاختار من ثقات من استجابوا له مجلس السبعين، ثم انتقى من بينهم اثنى عشر نقيبا، اسوة بما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم، يوم طلب ممن بايعه عند العقبة من أهل يثرب أن يختاروا من بينهم اثنى عشر نقيبا، ليشاورهم في شؤونهم، وقد تولى النقباء الإثنا عشر أمر الدعوة إلى جانب الدعاة الذين كانوا يوفدون اليهم من قبل الإمام

---

[1]- محمد بركات البيلى، المرجع السابق، ص. 14.

[2]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 23

[3]- نفسه.

[4]- محمد بركات البيلى، المرجع السابق، ص. 16 فما بعدها.

بالحميمية، أو من قبل داعى الدعاة بالكوفة، وكان معظم النقباء من العرب الخراسانيين، ويأتي في مقدمتهم: سليمان بن كثير الخزاعي، ولاهز بن قريظ التميمي، وقحطبة بن شبيب الطاشي، ثم عاد إلى الكوفة الدعاة الثلاثة: أبو عكرمة السراج ومحمد بن خنيس وحيان العطار[1].

كتب الإمام محمد إلى مجلس النقباء والسبعين في خراسان يوضح لهم السيرة التي يجب أن ينتهجوها، ورسم لهم إستراتجية محكمة للعمل على نشر الدعوة سرا دون أن يتفطن لهم بنو أمية، حيث أمرهم بدعوة الناس سراً برفق ولين، وأن يجوبوا خراسان متظاهرين بممارسة التجارة، ويراسلون الإمام في الحميمية بالأخبار عن طريق الكوفة أو عندما يجتمعون به بمكة المكرمة في أوقات الحج[2].

رابعاً: أطوار الدعوة العباسية.

مرت الدعو العباسية بطورين هامين:

1- الطور الأول: يبدأ هذا الطور بمستهل القرن الثاني للهجرة، وينتهي بانضمام أبي مسلم الخراساني إلى الدعوة، ويمتد من سنة 100هـ/718م إلى سنة 128هـ/746م، وقد تميزت الدعوة في هذا الطور، بالسرية التامة، وخلوها من أساليب العنف، في الوقت الذي كانت فيه دولة الخلافة الأموية متماسكة، وقد نظم الدعوة بالعراق، ثلاثة دعاة هم: ميسرى العبدي، وبكير بن ماهان، وأبو سلمة الخلال، أما في خراسان فقد قامت الدعوة على أكتاف جماعة من الدعاة، أشهرهم: أبو عكرمة السراج، ومحمد بن خنيس، وحيان العطار، وكثير الكوفي، وخداش البلخي، ونقيب النقباء سليمان بن كثير الخزاعي[3].

وقد إكتشفت السلطات الأموية أمر الدعوة، وتخلصت من بعض الدعاة، وراح البعض الأخر ضحية تطرفه كخداش البلخي، وتوفي الإمام محمد في عام 125هـ/743م، بعد أن قطعت الدعوة شوطاً بعيداً، وأوصى بالإمامة من بعده لإبنه إبراهيم[4].

لقد نمت دعوة بني العباس في أثناء حياة محمد بن عليّ، فقد وضع مبادئها وشعاراتها، وكوّن منظماتها، وانتخب نقباءها ودعاتها، وبين عمل كل واحد منهم، وجدّ معهم في نشرها حتى فشت في منطقة خراسان.

2- الطور الثاني:

كان إبراهيم بن محمد المقتول في سنة 132هـ، أرفع إخوته مكاناً، وأعلاهم شأناً، معظم عند أهل المدينة ومكة المكرمة، يمتاز بالتقوى والورع، والحكمة والحلم، وفي الوقت نفسه يحزم في أموره صارما في تطبيقها،

---

[1]- محمد بركات البيلى، المرجع السابق، ص.18.

[2]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 24.

[3]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص ص، 21-22.

[4]- نفسه، ص. 22.

وكانت الناس تحبه لجوده وكرمه، وقد عهد إليه والده بالإمامة كما ذكرنا، فجد في بثّ الدعوة ونشرها، وعمل على تنظيمها وتقويتها، حتى إذا سنحت له الفرصة، في سنة 129هـ، أمر أبا مسلم الخراساني بإعلان الثورة المسلحة على حكم بنى أمية[1].

أول شيء فعله الإمام إبراهيم هو أنه بعث في سنة 126هـ، بكير بن ماهان إلى منطقة خراسان، ليخبر شيعة بنى العباس هناك عن وفاة الإمام محمد، وأخذ البيعة إليه، فبايعه الجميع، وساقوا إليه الأموال، ثم رجع بكير ولقى الإمام إبراهيم بمكة المكرمة، وأعلمه بنجاء العملية، وأعطاه وثائق البيعة والأموال[2].

وفي أيام إبراهيم، تعرف على أبو مسلم الخراساني الذي سوف يصبح الشخصية القوية في الدعوة العباسية، وكان ذلك في سنة 127هـ، حيث ورد إلى مدينة الكوفة ثلاثة من النقباء، هم: سليمان بن كثير ولاهز وقحطبة، ثم ساروا منها إلى مكة المكرمة، وانشم إليهم أبو مسلم، فقابلوا الإمام إبراهيم، ودفعوا إليه الأموال، فأعجب الإمام برجاحة عقل أبا مسلم، وعينه على خدمته[3].

تقول بعض الروايات بأن أبا مسلم كان يُسمى إبراهيم بن حيان، أو ختكان، أو عثمان، فغير له الإمام إبراهيم إسمه، فسماه عبد الرحمان بن مسلم، وكناه أبا مسلم، وبعث إلى شيعته بالكوفة يُعلمهم بأنه أصبح مولاه، وقد كناه بكنية جديدة، ويأمرهم بأن يكون هو الرسول بينه وبينهم وبين خراسان[4].

إنضم إلى الدعوة العباسية بقيادة أبي مسلم في ليلة واحدة أهل ستين قرية من نواحي مرو، وبناء على أمر الإمام إبراهيم أظهر أبو مسلم الدعوة علانية في شهر رمضان سنة 129هـ/747م، على أن تكون الطاعة لبني العباس، فعقد اللواء والراية اللذين بعث بهما الإمام، ويدعى الأول الظل والثاني السحاب، ومعناهما: أن خلفاءه العباسيين يظللون الأرض إلى آخر الدهر، وكان يتلو:"إن الذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير"[5].

واتخذ أبو مسلم السوداء شعاراً له، فعرف جيشه بـ"المسودة" نسبة إلى شعار العباسيين الأسود، حزناً على الشهداء من بني هاشم، ونعياً على بنى أمية في قتلهم، كذلك أمر بأن توقد النار وتضاء المشاعل الكبيرة على قمم الجبال، فأخذ ينضم إليه عدد كبير من الموالين كما ذكرنا سابقاً[6].

لما قوي أبو مسلم بمن اجتمع إليه، بدأ بإذكاء نار الخلاف بين نصر بن سيار – والي الدولة الأموية بمرو- والكرماني- زعيم قبيلة ربيعة اليمنية- الذي رفض الصلح بينهما وصمم على عزل نصر، مما جعل هذا الأخير

---

[1]- حسين عطوان، المرجع السابق، ص ص، 235-236.

[2]- نفسه، ص. 237.

[3]- نفسه، ص ص، 240-241.

[4]- نفسه، ص ص، 241-242.

[5]- ابراهيم أيوب: التاريخ العبّاسي السّياسي والحضاري، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، 1989م، ص.23.

[6]- نفسه، ص. 24.

يطلب المساعدة من الخليفة الأموي بدمشق مروان بن محمد ضد الكرماني قبل أن يستفحل أمر الخراساني في تلك البلاد ويصعب قتاله، لكن انشغل الخليفة بمقاومة الخوارج مأخره في إجابة الطلب وكتب إلى واليه نصر، يقول له:" أضبط ثغرك بجندك، واهتم الخليفة بالقضاء على رأس الدعوة الإمام إبراهيم بالحميمة، فأرسل إليه من أوثقه وزج به في السجن، ثم أمر بقتله[1].

ولما لم يجد نصر بن سيّار فائدة من محاولة الصلح مع الكرماني، بعث إلى ابن الحرث بن سريج وقتله غدراً، هذا ما أغضب أبنا الكراماني وإنضما إلى أبي مسلم الخراساني، وقد تمكن هذا الأخير من دخول مدينة مرو في ربيع الآخر سنة 130هـ/ 748م، واعترفا له بالإمارة، لكن أبا مسلم قتلهم، خوفا من أن تتفق كل من اليمانية مع نصر بن سيّار، كما قتل حوالى ستمائة من العرب، وقتل عدد من الخوارج، أمام هذه الإنتصارات هرب والي الأمويين على خراسان نصر بن سيّار الهرب إلى مدينة نيسابور ومنها واصل إلى الري، ولحقت به جيوش الخراساني المنتصرة، بقيادة قحطبة بن شبيب الطائي، وفي هذه الأثناء توفي نصر في سنة 131هـ/748م، فدانت بذلك سائر خراسان إلى جيش أبي مسلم، وسك بها العملة، ورتب أمورها، وتسمى باسم"أمين آل محمد"[2].

في هذه الأثناء كانت القوات العباسية بقيادة قحطبة تستولي على مدينة نيسابور والري، ثم أصفهان وقتل عامل الخليفة مروان بن محمد بها، ثم حارب في نهاوند وفارس، ثم واصل ابنه يزيد بن هبيرة إنتصاراته على عامل الأمويين على العراق، وسلم مقاليد الأمور إلى كبير النقباء العباسيين بالكوفة، وأصبح يدير الأمور، وبعد مدة وصل إليها عبد الله أبو العباس رفقة أسرته هاربا من الحميمية، فأخفاه أبو سلمة الخلال خارج الكوفة مدة أربعين ليلة، ثم تم إخراجه من مخبئه وتمت مبايعته في ربيع الثاني سنة 132هـ/749م، وتسمى بأمير المؤمنين، وخطب خطبته الشهير، ونزل عن المنبر، وتولى أخوه أبو جعفر المنصور أخذ البيعة من الناس في المسجد[3].

المحاضرة الثانية:

أبو العباس السفاح مؤسس الدولة العباسية

(132-136هـ/750-754م).

أولا: التعريف بأبا العباس السفاح.

هو أبو العباس، عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، أمه ريطة بنت عبد الله الحارثي، كان جميلاً أبيض مليحا حسن الوجه واللحية والهيئة، وكان من أسخى الناس، بحيث ما وعد عدة

---

[1]- ابراهيم أيوب: التاريخ العبّاسي السّياسي والحضاري، المرجع السابق، ص. 24.

[2]- نفسه، ص. 24-25.

[3]- نفسه، ص. 25.

قط وأخرها عن وقتها، وكان نقش خاتمه:"الله ثقة عبد الله وبه يؤمن"، بويع بالكوفة لثلاث ليال خلت من ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين ومائة[1].

ويذكر المؤرخ الطبري، في قضية البيعة لأبي العباس السفاح، أنه عند وصول هذا الأخير رفقة أسرته إلى مدينة الكوفة، حاول أبو سلمة الخلال إبعاده عن الأنظار والإتصال بشخصية علوية قصد مبايعتها وإعطائها الخلافة، لذلك عمل على إخفاء أبو العباس خارج الكوفة في دار الوليد بن سعيد في بنى أوْد، وكان إذا سئل عن الإمام، يرد عليهم بعدم التعجيل، وضل كذلك إلى أن إكتشف مكانه أبو حميد، وأخبر أنصاره من الخراسانية، فأخرجوه من مخبئه، وبايعوه في يوم الجمعة 12 ليلة خلت من شهر ربيع الآخر[2].

وقد خرج أبو العباس يوم الجمعة بأحسن حلة، يلبس رذون أبلق، فصلّى بالناس، ثم صعد المنبر وألقى على عادة الخلفاء لدى انتخابهم، خطبة في مسجد الكوفة، أوضح فيها الهدف الذي من أجله قامت الثورة العباسية، ونكّد بالأمويين الذين وصفهم بمغتصبي الخلافة، ووعد الكوفيين، الذين ساندوا الثورة، بزيادة أعطياتهم، ولم ينسَ أن يذكرهم بأنه:"السفاح المبيح والثائر المبير"[3]، ثم نزل أبو العباس وداود بن عليّ من على المنبر، ودخلا القصر، وتركا أبي جعفر المنصور ليأخذ البيعة من الناس في السجد، وتواصل هذا الأمر إلى غاية وقت متأخر من الليل[4].

وقد إلتبس على الكثير من الباحثين معنى السفاح، وفسروها بكثرة سفكه للدماء، ولكن هذا الأمر غير صحيح، لأن سيرة الخليفة أبو العباس تنبؤنا بأنه كان أميل إلى اللين والمساومة ونبذ العنف، عكس أخوه أبي جعفر المنصور وعمه عبد الله بن محمد أبي العباس، والأكيد أنه وقع إلتباس وخلط من بعض المؤرخين بين الخليفة العباس وعمه عبد الله أبي العباس، حيث إستحق هذا الأخير لقب السفاح بمعنى السفاك للمجازر التى إرتكبها ضد فلول بنى أمية في بلاد الشام[5].

ثانيا- توطيد أركان الدولة:

1- تثبيت أقدام أسرته فى الحكم:

بويع أبو العباس بالخلافة وكانت مهمته شاقة، فمروان وجيوشه لا يزال مسيطر على الشام، وابن هبيرة مع جيشه القوي متحصن في مدينة واسط، ومركزه ضعيف في الكوفة، ووزيره الخلال لا يثق به ولا يعتمد عليه،

---

[1]- أحمد بن يوسف القرماني: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق: أحمد سعد، عالم الكتب، بيروت، 1416هـ/1996م، ص.71-72.

[2]- أبي جعفر محمد بن جرير الطبري(224-310هـ): تاريخ الرّسل والملوك، تحقيق: محّمد أبو الفضل إبراهيم، ج.7، ط.2، دار المعارف، مصر، ص ص، 429-432.

[3]- نفسه، ج.7، ص . 425-426.

[4]- نفسه، ج.7، ص. 428.

[5]- عبد العزيز الدوري، العصر العباسي الأول، المرجع السابق، ص. 53.

ولكن أبا العباس أظهر مقدرة فائقة على وضع اللبنات الأولى للدولة العباسية[1].

أول شيء قام به أبو العباس هو السعي إلى تثبيت أقدام الأسرة العباسية في الحكم، فرأى من الضروري الإستعانة بإخواته وأعمامه وأبناء إخوته، ويشركهم في أمره حتى لا يستأثر القواد والدعاة بالأمر دونهم من جهة، ومن جهة أخرى، فإنه أراد نقل السلطة تدريجيا إلى أيدي أفراد الأسرة العباسية[2].

فبعد مبايعة الناس أبو العباس إنتقل إلى معسكر الخراسانية بقيادة أبي سلمة الخلال بمنطقة حمام أعين، وكان عبد الله بن بسام حاجب الخليفة، فعين عمه داود بن عليّ على تسيير أمور الكوفة في أثناء غيابه، وبعث عمه عبد الله بن عليّ للقضاء على أبي عون ابن يزيد(مروان الثاني)، وبعث ابن أخيه عيسى بن موسى لمساندة الحسن بن قحطبة، وهو يومئذ بمدينة واسط يحاصر القائد الأموي ابن هبيرة، كما بعث يحي بن جعفر بن تمام ابن عباس لمساعدة حميد بن قحطبة بالمدائن، وأرسل أبا اليقظان عثمان بن عروة ابن محمد بن عامر بن ياسر إلى بسام بن إبراهيم بن بسام بالأهواز، وبعث سمة بن عمرو بن عثمان إلى مالك بن طريف[3].

يبدو أنه وقع تململ من قبل بعض القواد الذين قامت الثورة على أكتافهم، وخشوا أن يقطف غيرهم ثمار جهودهم، مما دفع الخليفة إلى طمأنتهم وإقناعهم بأن مشاركة أهله ليست إلا مشاركة تشريفية فقط، فقد كتب إلى الحسن بن قحطبة حين جعل معه أخاه أبا جعفر:"أن العسكر عسكرك، والقواد قوادك، ولكن أحببت أن يكون أخي حاضراً والمتولي للأمر"[4].

2- إنتهاء الحكم الأموي:

إنتصر الجيش العباسي بقيادة قحطبة على أمير شهرزور في نهاوند، وتمكن من القضاء على عثمان بن سفيان بناحية الموصل، ولم بلغ النبأ إلى الخليفة الأموي بانهزام جيشه، جمع جيشه بالشام وأقبل نحو الموصل من جهة حرّان، ولما وصل إلى نهر دجلة حفر خندقا، وفي هذه الأثناء سار إليه القائد العباسي أبو عون، وعسكر بالقرب من نهر الزّاب، وأرسل له الخليفة كل من: سلمة بن محمد رفقة ألفين من الجنود، وعبد الله الطائي في ألف وخمسمائة مقاتل، وعبد الحميد بن ربعيّ الطائي في ألفين، ووداس بن نضلة في خمسمائة، ثم إنتدب من أهل بيته عبد الله بن عليّ، ليقود المعركة الفاصلة في الزاب، وإلتقى الجمعان لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة 132هـ[5].

وبغض النظر عن سير مجريات المعركة، إلاّ أن الهزيمة وقعت على الجيش الأموي بقيادة مروان بن محمد، وتعود أسباب هزيمته إلى ضعف معنويات الجيش الأموي في المقابل قوة معنويات الجيش الخراساني، وقد

---

[1]- عبد العزيز الدوري، العصر العباسي الأول، المرجع السابق، ص. 46.

[2]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص. 39.

[3]- الطبري، المصدر السابق، ج.7، ص. 431.

[4]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص. 39.

[5]- الطبري، المصدر السابق، ج.7، ص. 432.

أدت العصبية القبلية إلى إضعاف معناويات الجيش الأموي في أثناء القتال، حيث كان مروان يصدر الأوامر لجيشه فلا تستجيب القبائل للقتال، وحاول مروان تشجيع جنده عن طريق إغرائهم بالمال، حيث عرض أمامهم قد كبير منه، وما إن وقعت أبصارهم عليه حتى توقفوا عن القتال، وتوجهوا صوبه فحاول صدهم ولكنه لم يتمكن، والخطأ الإستراتيجي الذي إرتكبه مروان هو عبوره نهر الزاب لملاقات الجيش العباسي، فغرق أغلب جنده في النهر، وقطع على نفسه خط رجعته[1].

بعد إنهزام محمد بن مروان في معركة الزاب، فر إلى حرّان، وبقى فيها مدة من الزمن، ولما علم بقدوم الجيش العباسي بقيادة عبد الله بن عليّ، جمع أهله وأبناؤه وهرب إلى قنسرين والجيش العباسي يتبعه، ثم هرب إلى مدينة حمص، فأقام بها ثلاثة أيام ثم غادرها إلى دمشق وواصل فراره إلى الأردن ومنها إلى فلسطين ومضى حتى وصل إلى مصر، وإختفى في قرية يقال لها بوصير، ولكن جيش العباسيين توصلوا إليه وقتلوه[2].

قتل محمد بن مروان يوم الأحد لثلاث بقين من ذى الحجة 132هـ، وقد حكم مدة خمس سنين وعشرة أشهر وستة عشر يوماً، وكان يكنى "أبا عبد الملك"، وكانت أمه أم ولد كرديّة، وقيل أن عمره كان يناهز اثنتين وستين سنة، وقيل كان ابن تسع وستين سنة، وقيل ابن ثمان وخمسين[3].

نشبت العديد من الثورات الأموية إثر مقتل الخليفة محمد بن مروان، ونذكر من بين تلك الحركات خروج كل من حبيب بن مرّة المرّي فيإقليم البثينة بفلسطين وحوران، وخروج أبو الورد بقنّسرين وحركة أسامة بن مسلم بإقليم الجزيرة، ورفعوا الأعلام البيضاء وسموا أنفسهم بالمبيضة، كدليل على تمردهم على الحكم العباسي الجديد، الذي إختار اللون الأسود كشعار له، وقد قضى عبد الله بن عليّ عدة شهور وهو يخمد تلك الحركات المناهضة، وأعاد الأمر للعباسيين[4].

بعد الإنتهاء من تلك الحركات إلتفت الخليفة العباسي إلى القضاء على تمرد يزيد بن هبيرة، الذي كان متحصن في مدينة واسط، وكان أبو سلمة الخلال قد بعث في السابق جيشاً بقيادة الحسن بن قحطبة لحصاره، وحصلت بين الطرفين مناوشات لم تسفر عن أي نتيجة، مما دفع بالخليفة أن يبعث أخاه أبا جعفر ليقود حصار واسط، ولما علم ابن هبيرة بمقتل خليفته الشرعي مروان طلب الصلح، وجرت بين الطرفين مفاوضات أسفرت عن منح ابن هبيرة وأنصاره الأمان، وبعد الإستسلام قام أبو جعفر بقتل ابن هبيرة رفقه عدد من أصحابه[5]. وبمقتل ابن هبيرة تمت تصفية أخر جيوب الأمويين.

---

[1]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 47.

[2]- الطبري، المصدر السابق، ج.7، ص. 437-438.

[3]- نفسه، ج.7، ص. 442.

[4]- الطبري، المصدر السابق، ج.7، ص. 443-447.

[5]- نفسه، ج.7، ص. 450-457.

ثالثا- تنظيم أركان الدولة.

1- موقفه من بعض زعماء الثورة.

بعد تخلص الخليفة أبو العباس من الأمويين إلتفت إلى تصفية منافسيه السياسيون، وعلى رأسهم أبا سلمة الخلال "وزير آل محمد"، وقد كان أبا العباس صاحب فكرة قتله بينما كان أبو مسلم المنفذ لها، وكانت محاولة أبي سلمة نقل الخلافة إلى ولد علي السبب الأول لمصرعه.

فاتهمه بمحاولته تحويل الخلافة من بنى العباس إلى آل عليّ بن أبي طالب، وقرر القضاء عليه في الوقت الذي بويع بالخلافة لكن الضروف لم تساعفه، فأجل الأمر إلى غاية الإنتهاء من إخماد الحركات المناهضة على حكمه[1]. ويذكر الطبري، أن الخليفة هم بقتل الخلال، فقال له أحد أصحابه، مايدريك أن الخلال أراد تحويل الخلافة إلى أبناء عليّ بن طالب-رض- بإشارة أبو مسلم، وبعث من حينه أبو جعفر ليستقصي الأمر عند أبو مسلم، ولما وصل إلى خراسان إستقبله أبو مسلم وأكرم وفادته، ولم أخبره بخيانة أبا سلمة، قال له أنا أكفيكم أمره، فأرسل مرّار بن أنس الضبّي إلى الكوفة فكمن له وقتلاه، في رجب عام 132هـ/ 750م، وإتهموا الخوارج بقتله[2].

وهناك رواية أخرى تبرئ الخليفة من قتل الخلال، وتضع مسؤولية ذلك على أبي مسلم الخراساني، وتجعل من حسد هذا الأخير لمركز الخلال ومنافسته له سبباً في تنكيل الأخير به، فمباشرة بعد سماع أبا مسلم بتولية الخليفة الخلال جميع ما وراء بابه، وجعله وزيره وإسناد جميع الأمور إليه، أرسل أحد قواده بقتله[3].

لما سمع أبو مسلم بخيانة الخلال أشار على الخليفة بقتله لأنه نكث وغير، ولكن الخليفة رفض ذلك، فطلب أبو مسلم من داود بن علي ومن أبي جعفر حثه على قتله، فرفض أبو العباس، قائلا:"ما كنت لأفسد كثير إحسان وعظيم بلائه بزلة كانت منه"، ولما سمع أبو مسلم بذلك خاف من ناحية أبي سلمة أن يقصده بالمكروه، فوجه جماعة من ثقات أصحابه في أعمال الحيلة في قتل أبي سلمة[4].

أما علاقة الخليفة بأبي مسلم الخراساني فهي أن أبا العباس كان يخاف من سلطّانه وتزايد حب أهل خراسان له، لأنه لم يكن مجرد والياً فحسب، وإنما كان زعيماً دينياً وروحياً لبعض الخراسانيين والفرس، وكان أبو مسلم فوق هذا يتدخل في شؤون الدولة، إذ كان له عينا في البلاط العباسي يسمى أبو الجهم، كان يكتب لأبي مسلم بكل الأخبار، في المقابل كان الخليفة يدرك الأمر لذلك لم يكن يقض أمراً دون إستشارته، ولم يكن له من أمر سوى اتباع الحيلة للتخلص من أبي مسلم، فحاول إستعمال زياد بن صالح والي بلاد ما وراء النهر للقيام بثورة ضده،

---

[1]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص. 40.

[2]- الطبري، المصدر السابق، ج.7، ص. 448-449

[3]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 49.

[4]- نفسه، ص. 50.

ويقتله، وقد ثار في سنة 135هـ/752م على أبي مسلم ولكن أبا مسلم قضى عليه بكل سهولة[1].

بقى أبو مسلم يتدخل في كل شيء حتى ثقلت وطأته على الخليفة أبو العباس، حتى شكى هذا الأخير بالأمر إلى خالد البرمكي، فأشار عليه برأي ظاهره تقوية جيش أبي مسلم وباطنه إضعاف مركزه، وكان رأي خالد أن يأمر أبا مسلم بعرض جيشه وإسقاط كل من لم يكن من أهل خراسان، ففعل ذلك، حيث أسقط في يومين خلقاً كثير، وفي اليوم الثالث سأله أحد الرجال، على سر إسقاطه الجند من الجيش، فأخبره أنه يسقط كل من لم يكن من الخراسانية، فأمره بأن يبدأ بنفسه لأنه لم يكن من أهل خراسان بل من أهل أصبهان، ففطن أبو مسلم بالمكيدة[2].

لم يجرؤ الخليفة العباسي على إتخاذ أي تدبير حاسم ضد أبي مسلم، فقد أشار عليه أخوه أبو جعفر سنة 132-133هـ عند رجوعه من خراسان بقتل أبي مسلم، وقال له:"لست بخليفة ما دارم أبو مسلم حياً، فاحتل لقتله قبل أن يفسد عليك أمرك، فلقد رأيته وكأنه لا أحد فوقه، ومثله لا يؤتمن غدره ونكثه"، فرفض أبو العباس ذلك حذرا من الخراسانيين، ثم أشار عليه مرة ثانية بقتل أبي مسلم في سنة 136هـ عندما جاء للحج، فرفض الأمر مجدداً، لنفس السبب[3]. هكذا ترك أبو العباس إنجاز هذه المهمة الصعبة لإخيه أبو جعفر.

2- بناء عاصمة جديدة.

لما لم يكن الخليفة أبو العباس مطمئناً من نوايا أهل الكوفة، فكر باختيار مكان جديداً ليكون مركزاً لإدارة دولته، فإختار في أول الأمر(سنة 132هـ) مكان قرب الكوفة يسمى الهاشمية ليكون مقره، ثم إنتقل إلى الحيرة، وبعدها إنتقل إلى الأنبار في سنة 134هـ، فابتنى بها مدينة بأعلى المدينة العضيمة، عرفت بهاشمية الأنبار، وقسمها خططاً بين جنده من أهل خراسان، وبنى لنفسه في وسطها قصراً عالياً، وأقام بتلك المدينة طيل خلافته[4].

3- تعيين الولاة.

إهتم الخليفة أبو العباس السفاح بتعيين الولاة على مختلف الولايات التي سيطر عليها الجيش العباسي، وحرص على أن يكونوا من أقرب أقربائه، وأغلبهم كانوا من أسرته، فعين عمّه عيسى بن عليّ على فارس، وكان أبو مسلم الخراساني قد بعث عليها محمد بن الأشعث، فلم يعترف به واليا، فلم يتسلم عيسى الولاية، ثم وجه الخليفة بعد ذلك إسماعيل بن عليّ واليًا على فارس، وعين أخاه أبا جعفر على ولاية الجزيرة وأذربيجان وأرمينية، ووجه أخاه يحي بن محمد بن عليّ واليا على الموصل، كما عزل عمه داود بن عليّ عن الكوفة وسوادعا، وأعطاه ولاية الحجاز واليمن واليمامة، وأعطى الكوفة إلى عيسى بن موسى، وأعطى ولاية الجزيرة إلى أخاه يوسف بن عروة،

---

[1]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 50.

[2]- نفسه، ص. 51.

[3]- نفسه، ص. 51.

[4]- نفسه، ص. 52.

وأعطى الشام إلى عمه عبد الله بن عليّ، ومصر إلى أبو العون عبد الملك بن يزيد، أما خراسان والجبال فكانت من نصيب أبو مسلم الخراساني[1].

4- الوزارة والدواوين:

يقال أن أبا العباس إتخذ أبا سلمة الخلال وزيراً له، ولكن علينا أن نتذكر أن العبابسيين لم يعرفوا آنئذ نظام الوزارة وسلطات الوزير ومناطق نفوذه بصورة واضحة، لذلك يجب أن لا نتصور أنه منذ تعيين الخلال تحددت سلطة الوزير وتعين مركزه وأعماله وإنما وضع الحجر الأساس لهذه المؤسسة عند استيزار الخلال، ثم نمت وتدرجت حتى اتخذت شكلها الثابت في أواخر العصر العباسي الأول، وجدير بالذكر أن الخلال كان يسمى"وزيرآل محمد"، قبل بيعة أبي العباس وأن رجال الدعوة العباسية هم الذين أعطوه هذا اللقب، ولعلهم كانوا متأثرين بالتقاليد الفارسية، ولكن منصب الخلال ووظائفه تقارب وظيفة عبد الحميد الكاتب كاتب آخر خلفاء بني أمية، ومن هنا لم يحدث العباسيون تغييراً إدارياً وجوهرياً بتسمية الخلال وزيراً، ولكن فكرة الوزارة العباسية وإشتراك الفرس في السلطان الجديد، أدى بمرور الزمن إلى تكوين نظام الوزارة الحقيقي وإلى رسوخه كأساس للإدارة العباسية[2].

إهتم الخليفة السفاح بالدواوين، فعين على ديوان الخراج وديوان الجند خالد بن برمك، فأدخل هذا الأخير نظام الدفاتر بأن جعل سجلاتها في دفاتر بعد أن كانت في صحف متفرقة[3].

رابعاً: ولاية العهد ووفاته.

إهتم الخليفة العباسي الأول بتوريث الحكم في أسرته، لذلك قام في سنة 136هـ بجعل أخاه أبا جعفر المنصور ولي للعهد، وبعده إبن أخيه عيسى بن موسى، فأعاد بذلك خطأة الأمويين ووضع سنة غير حميدة للعباسيين[4].

توفي أبو العباس بمدينة الأنبار في يوم الأحد 13 ذي الحجة سنة 136هـ بعد أن أصيب بمرض الجدري، وإختلف في كم كان يبلغ من العمر، فقال بعضهم: كان له ثلاث وثلاثون سنة، أو ست وثلاثين سنة، أو ثمان وعشرون سنة، وكانت ولايته أربع سنسن، وصلى عليه عمه عيسى بن عليّ، ودفنه بالأنبار العتيقة في قصره، وخلف تسع جباب وأربعة أقمصة وخمسة سراويلات وأربعة طيالسة وثلاثة مطاريف خز، ولعله لم يترك في بيت المال شيئاً[5].

---

[1]- الطبري، المصدر السابق، ج.7، ص. 458.

[2]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص ص، 51-52.

[3]- نفسه، ص. 52.

[4]- نفسه، ص. 52.

[5]- الطبري، المصدر السابق، ج.7، ص ص. 470-471.

المحاضرة الثالثة

أبو جعفر المنصور المؤسس الحقيقي للدولة العباسية

(136-158هـ/754-775م).

أولا: التعريف بأبي جعفر المنصور.

هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله، وأمه سلامة بنت بشير البربرية، كان طويل القامة، أسمر خفيف اللحية، رحب الوجه، كأن عينيه لسانان ينطقان، كان نقش خاتمه:"إتق الله تزد فتعلم"[1]، بويع لأبى جعفر المنصور بالخلافة في اليوم الذي توفي فيه أخوه أبو العباس، وأبو جعفر يومئذ بمكة المكرمة، وقد أخذ له البيعة بالعراق عيسى بن موسى، ثم كتب إليه مع محمد بن الحصين العبديّ يُعلمه بموت الخليفة وبالبيعة له[2].

وهناك من قال بأن الخبر وصل أولا إلى أبا مسلم الخراساني أولاً، فكتب إلى الخليفة الجديد، يعزيه في وفاة الخليفة أبو العباس دون أن يهنأه بالخلافة، وأبطأ إلى اليوم الثاني وبعث ببيعته لأبي جعفر المنصور[3]. وهذا ما أوغر صدر الخليفة على أبي مسلم الخراساني، وسوف يتخذها له حجة للقظاء عليه فيما بعد.

ثانيا- الأوضاع الداخلية:

بويع المنصور بالخلافة واللملكة لا نزال مضطربة، والدولة لم تتوطد أركانها بعد، لكنه استطاع أن يثبت أركانها بحنكته وحزمه، وبفضل مكوثه على رأس السلطة فترة طويلة من الزمن، قاربت اثنين وعشرين سنة[4].

ومن بين الأمور التي أقلقت المنصور هي طموح عمه عبد الله بن علي الذي كان يطمح لإعتلاء العرش بعد وفاة السفاح، لا سيما أنه كان يتمتع بمركز حصين بين جيشه، وقد كان المنصور يخشى كذلك سلطان أبي مسلم الخراساني المتزايد، لا سيما أنه أشار على أخيه الخليفة الراحل بضرورة التخلص منه في عدة مرات، ولكنه رفض ذلك، ومن الطبيعي أنه سيعمل على التخلص منه بعد إعتلائه منصب الخلافة، إضافة إلى هذه المخاوف هناك طرف أخر كان يقض مضجع الخليفة، متمثل في العلويون من آل الحسن، الذين كانوا يدعون الناس إلى بيعتهم، ومما زاد من قلقه هو تخلف كل من: محمد ذي النفس الزكية وإبراهيم عن مبايعته، وما زاد الطين بلة هو عدم إطمئنان المنصور لأهل الكوفة[5].

---

[1]- أحمد بن يوسف القرماني: أخبار الدّول، المصدر السابق، ص. 75.

[2]- الطبري، المصدر السابق، ج.7، ص. 471.

[3]- نفسه، ج.7، ص. 472.

[4]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 55.

[5]- نفسه، ص ص، 56-57.

وتتضح مهارة المنصور ودهاؤه في ضربه لخصومه بعضهم ببعض، وفي العمل على التخلص منهم بأسلم وسيلة، فلم يتوانى عن استخدام الدهاء والمكر في الكيد بهم، وسوف نحاول التفصيل في المشاكل الداخلية التي واجهت الخليفة أبو جعفر وكيف وجد لها الحل.

1- التخلص من عمه عبد الله:

أول مشكلة واجهة الخليفة الجديد وكادت أن تعصف بمركزه وبالدولة العباسية الفتية هي تمرد عمه عبد الله بن علي والي الشام، حيث رفض مبايعة أبو جعفر المنصور، بل إدعى أن أبوا العباس السفاح جعل له ولاية العهد من بعده لما انتدبه لقتال جيش أخر الخلفاء الأمويين مروان بن محمد، وقد بايعه أغلب جنده من أهل خراسان والشام والجزيرة، ولما فرغ من البيعة ارتحل إلى حرّان، وحاول إجبار حاكمها مقاتل العكي على مبايعته لكنه رفض فقتله[1]، ثم جاهر بالعداء للخليفة المنصور وأراد التخلص منه.

فانتدب المنصور أبا مسلم الخراساني لقتال عمه، وهو يأمل أن يتخلص من أحدهما، وقد عبر وزيره أبو أيوب المورياني عن وجهة نظر الخليفة حين قال:"نحن لأبي مسلم أشد تهمة منا لعبد الله بن علي إلا إنا نرجو واحدة"[2]، إضافة إلى ذلك كان الخليفة يأمل أن يستميل بإرساله أبي مسلم الجند الخراسانية في جيش عمه، فيذكر الطبري أن أبا مسلم قال للخليفة حين أبدى مخاوفه من تمرد عمه:"أنا أكفيك أمره إن شاء الله، إنما عامة جنده ومن معه أهل خراسان وهم لا يعصوني"[3].

دارت الحرب بين أبي مسلم الخراساني وعبد الله حوالي خمسة شهور(136-137هـ)، وقد لعبت عدة عوامل في إنهزام جيش المتمرد عبد الله بن علي، نحاول إجمالها في مايلي:

أ- خشي عبد الله أن يخذله الخراسانيون في ساعته الحرجة فقتل منهم سبعة عشر ألفاً، فأضعف بذلك

جيشه، كما أنه شك في إخلاص قائده الكبير حميد بن قحطبة، وأراد التخلص منه بمكية، حيث سرحه بكتاب إلى والي حلب ليقتله، فاكتشف حميد الأمر وفر وإلتجأ إلى أبي مسلم، فخسر عبد الله قائداً محنكاً مطلعاً على خططه ونقاط ضعفه فأستفاد منها أبو مسلم[4].

ب- استطاع أبو مسلم أن يحول عبد الله من مركزه الحصين بمدينة نصيبين، حيث ادعى أنه لم يأت لمقاتلته وإنما جاء كوالي على شام من طرف المنصور، فإضطرب أمر الجند الشاميون بجيش عبد الله وخافوا على أهلهم من الوالي الجديد، فألحوا على عبد الله بضرورة اللحاق به إلى الشام، فاستجاب إلى رأيهم على مضض، ولما علم بذلك

---

[1]- الطبري، المصدر السابق، ج.7، ص ص، 474-475.

[2]- نفسه، ج.7، ص. 481.

[3]- نفسه، ج.7، ص. 472.

[4]- نفسه، ج.7، ص ص، 476-477.

أبو مسلم الخراساني رجع مسرعاً وخندق بنفس المكان الحصين الذي كان به عبد الله وجيشه، واستطاع بذكائه ابعاد جيش الشام عن مركزهم الحصين دون عناء يذكر.

ج- تمكن أبو مسلم بحركة عسكرية من تمزيق صفوف جيش عبد الله، فضم أكثر الميمنة إلى الميسرة، فلما ضم الشاميون أكثر ميسرتهم إلى ميمنتهم، هجم أبو مسلم بسرعة بالقلب مع بقية الميمنة على ميسرة أهل الشام، فشتت نظامهم ودحرهم في 7 جمادى الآخرة سنة 137هـ[1].

أثناء المعركة هرب عبد الله بن علي إلى أخيه سليمان والي البصرة واختبأ عنده، ثم سلمه في سنة 139هـ إلى الخليفة أبي جعفر بعد أن أخذ له منه أماناً، فأودعه المنصور السجن ثم تخلص منه بعد تسع سنين[2].

2- التخلص من أبو مسلم الخراساني:

بعد تخلص الخليفة من عمه الذي كان ينازعه على السلطة، إلتفت للقظاء على الشخصية الثانية التي كانت تقلقه، والمتمثلة في رجل الدعوة القوي، أبو مسلم الخراساني، الذي كان يسيطر على ولاية خراسان المهمة للخلافة العباسية، وكانت القوة الخراسانية في الجيش تعقل عليها أمالها وتأتمر بأوامره.

وقد لعبت لعبت عدة عوامل في تسريع التوتر بين الطرفين، من بينها طبيعة الخليفة بحد ذاته وتصرفات أبي مسلم من جهة أخرى، فعند وفاة أبي الخليفة أبي العباس أرسل أبو مسلم رسالة إلى المنصور يعزيه بوفاة أخيه دون أن يهنئه بالخلافة، فأنكر المنصور ذلك، ولما سار أبو مسلم لقتال عمه عبد الله بن علي، أمر الحسن بن قحطبة والي الجزيرة أن يتبعه ويراقب كل أفعاله، وأخذ يرسل التقارير للخليفة عن تصرفاته، فارتاب المنصور من ذلك، خاصة عندما كتب إليه:"أني قد ارتبت بأبي مسلم منذ قدمت عليه، وأنه يأتيه الكتاب من أمير المؤمنين فيقرأه ثم يلوي شدقه" ويسخر منه[3].

وما زاد الطين بلة أنه بعد إنتصار أبي مسلم على عبد الله أراسل الخليفة المنصور إليه رسولا ليحصي الغنائم، فغضب أبو مسلم وقال: أؤتمن على الدماء ولا أؤتمن على الأموال؟ وأخذ يسب في الخليفة وأراد قتل الرسول لولا تدخل بعض أصحابه، زلولا ادعاء الرسول بأنه ما جاء إلاّ للتهنئة[4]، ثم بعث بالخبر للخليفة. وقد اراد الخليفة من عمله هذا إفهام أبو مسلم الخراساني أنه مجرد عامل من عماله.

ويظهر أن أبا العباس عزم على مخالفة أوامر الخليفة وهم بالتوجه إلى ولايته خراسان والإعتصام بقوته هناك،

---

[1]- الطبري، المصدر السابق، ج.7، ص. 477- 478.

[2]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 58.

[3]- الطبري، المصدر السابق، ج.7، ص ص، 480-481.

[4]- نفسه، ج.7، ص.482- 483.

فخاف الخليفة من الأمر وأدرك خطورة إعتصام أبو مسلم بولاية خراسان ومغبة دعوته للإنفصال عليه[1]، فحاول صرفه عن خراسان، وكتب إليه:"قد وليتك الشام ومصر فهي خير لك من خراسان، فوجه إلى مصر من أحببت وأقم بالشام فتكون بقرب أمير المؤمنين"[2]، وحاول الخليفة بهذا الأمر أن يضعف مركز أبي مسلم لكره أهل الشام للخراسانيين ولبعد أبي مسلم عن أنصاره المخلصين بخراسان، بالإضافة إلى قربه من مركز الخلافة من ثم يسهل مراقبته[3]، ففطن أبو مسلم للأمر فقال:"هو يوليني الشام ومصر، وخراسان لي ! واستمر في سيره نحو خراسان[4].

عمد الخليفة إلى أسلوب الدهاء لإثناء أبو مسلم عن إلتحاقه بخراسان، ودعاه إلى زيارته من أجل مشاورته بأمور هامة، وكان قد وصل نهر الزاب في طريقه إلى حلوان، فرد عليه أبو مسلم:"أنه لم يبق لأمير المؤمنين أكرمه الله عدو إلاّ أمكنه الله منه، وقد كنا نروي عن ملوك آل ساسان أنّ أخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت الدهماء، فنحن نافرون من قربك حريصون على الوفاء بعهدك ما وفيت، حريون بالسمع والطاعة غير أنها من بعيد حيث تتقارنها السلامة، فإن أرضاك ذاك فأنا كأحسن عبيدك، فإن أبيت إلاّ أن تعطي نفسك إراداتها نقضت ما أبرمت من عهدك ضناً بنفسي"[5]، تنم لهجة أبي مسلم على خلافه وتعاظمه على الخليفة إذ يتحدى المنصور وينتظر منه أن يعامله معاملة الند للند كما أنه يهدده بالعصيان إن تعرض له[6].

لما وصل الكتاب إلى الخليفة رد عليه في منتهى الدهاء، جاء فيها:" قد فهمت كتابك، وليست صفتك صفة أولئك الوزراء الغششة ملوكهم، الذين يتمنون اضطراب حبل الدولة لكثرة جرائمهم، فإنما راحتهم في انتشار نظام الجماعة، فلم سويت نفسك بهم، وأنت في طاعتك ومناصحتك واضطلاعك بما حملت من أعباء هذا الأمر على ما أنت به ! وليس مع الشريطة التي أوجبت منك سمع ولا طاعة، وحمّل إليك أمير المؤمنين عيسى بن موسى رسالة لتسكُن إليها إن أصغيت إليها، وأسأل الله أن يحول بين الشيطان ونزغاته وبينك، فإنه لم يجد باباً يفسد به نيتك أوكد عنده، وأقرب من طِبِّه من الباب الذي فتحه عليك"[7].

ووجه إليه في نفس الوقت جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلىّ، وكان واحد أهل زمانه، وداهية عصره، وكان له إتصال قوي بأبي مسلم بخراسان، وطلب إليه أن يتبع معه طريقة الترضية والإقناع، فإن فشل يلجأ إلى أسلوب التهديد، قائلا:"يقول لك أمير المؤمنين، لست للعباس وأنا بريء من محمد إن مضيت مشاقاً ولم

---

[1]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 59.

[2]- الطبري، المصدر السابق، ج.7، ص. 483.

[3]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 59.

[4]- الطبري، المصدر السابق، ج.7، ص. 482.

[5]- الطبري، مج.7، ص. 483.

[6]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 59.

[7]- الطبري، المصدر السابق، ج.7، ص. 483.

تأتيني إن وكلت أمرك إلى سواي ولم آل طلبك وقتالك بنفسي حتى أقتلك أو أموت قبل ذلك"[1].

ثم قطع المنصور خط الرجعة على أبي مسلم إذ كتب إلى أبي داود(خليفة أبي مسلم على خراسان) بالإمارة على خراسان وأطمعه بذلك، فكتب أبو داود إلى أبي مسلم "إنا لم نخرج لمعصية خلفاء الله وأهل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم، فلا تخالف إمامك ولا ترجعن إلا بإذنه"[2]. فصار أبو مسلم بين نارين، الخليفة من ورائه وخصمه الجديد أبو داوود في خراسان، فإضطر إزاء هذا الأمر إلى التوجه إلى العراق ويسلم نفسه للخليفة، وليلاقي حتفه مع أنه كان أعرف الناس بسياسة العباسيين آنذاك في القتل على التهمة[3]. وقتل في الخمس ليال بقين من شعبان من سنة 137هـ، وقال الخليفة المنصور في ذلك شعرا:

زعمتَ أَنَّ الدِّين لا يُقْتَضَى فاسْتَوْفِ بالكَيْل أَبا مُجْرِم

سُقِيتَ كأْساً كنتَ تَسقِى بها أَمَرَّ في الحَلق مِنَ العَلْقَم[4].

وقد دخل عيس بن موسى على الخليفة بعد ما قُتِل أبو مسلم، فقال: يأمير المؤمنين، أين أبو مسلم؟ فقال: قد كان ها هنا آنفا، فقال عيسى: يأمير المؤمنين، قد عرفت طاعته ونصيحته ورأى الإمام إبراهيم فيه، فقال: يا أنوَك، والله ما أعلم في الأرض عدوًّا أعدى لك منه، هاهو ذاك في البساط، فقال عيسى: إنا لله وإنا إليه راجعون ! فقال له المنصور: خلع الله قلبك، وهل كان لكم مُلْك أو سلطان أو أمر أو نهي مع أبي مسلم! [5]

بعدها قام الخليفة ببعث جوائز سنية ثمين إلى جميع قوّاد أبي مسلم، وأعطى جميع جنده مبالغ مالية كبيرة، لكي يرضوا، ولما رجعوا إلى خراسان قالوا: بعنا مولانا بالدراهم[6].

ثم أوضح الخليفة للناس سبب قضائه على أبي مسلم في خطبة ألقاها في جمع من الناس، فحذرهم عاقبة الخيانة، فقال:"أيها الناس لا تخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية، ولا تستروا غش الأيمة فإن من غش إمامه أظهر الله عزوجل سريرته في فلتات لسانه وسقطات أفعاله، وأبداها الله لإمامه الذي بادر باعزاز دينه به وإعلاء حقه بفلجه، إنا لم نبخسكم حقوقكم ولم نبخس الدين حقه عليكم، إنه نازعنا عروة هذا القميص أوطأناه ما في هذا الغمد، وإن أبا مسلم بايعناه وبايع لنا، على أنه من نكث بيعتنا فقد أباح دمه لنا، ثم نكث بنا هو فحكمنا عليه

---

[1]- الطبري، المصدر السابق ، ج.7، 484.

[2]- نفسه، ج.7، ص. 486.

[3]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 60.

[4]- الطبري، المصدر السابق، ج.7، ص. 491.

[5]- نفسه، ج.7، ص. 492.

[6]- نفسه، ج.7، ص. 492.

لأنفسنا حكمه على غيره لنا، ولم تمنعنا رعاية الحق له من إقامة الحق عليه"[1]، ولعل هذا الخطاب يظهر اهتمام المنصور بالرأي العام رغم اعتزازه بسلطته المطلقة.

ويذكر الطبري أن جعفر بن حنظلة عندما علم بمقتل أبي مسلم الخراساني قال للخليفة المنصور:"يا أمير المؤمنين، عُدّ من هذا اليوم لخلافتك"[2]، وقد كان جعفر بن حنظلة محقا في مقولته لأنه بعد مقتل أبي مسلم مباشرة ظهرت في خراسان حركات دينية سياسية قومية غربية، أضهر أصحابها الإسلام وأبطنوا المجوسية، تطالب بالثأر لمقتل أبي مسلم وإسقاط الخلافة العباسية.

وشكلت حركة سنباذ أول حركة ظهرة كردة فعل على مقتل الزعيم الفارسي، وينتمي سنباذ إلى أهل قرية من قرى نيسابور بخراسان يقال لها أهن، وكان مجوسيا، خرج ثائرا على مقتل أبي مسلم، وتبعه خلق كثير من أهل: نيسابور وقُومس والرّيّ، وتسمى باسم "فيروز أصبهبذ"، وإستولى على خزائن أبي مسلم، وأعلن أنه سوف يهدم الكعبة المشرفة، واعتقد أتباعه بأن أبا مسلم لم يمت، وكان سنباذ يطمح إلى القظاء على الخلافة العباسية ويحي الدولة الفارسية، ولكن الخليفة قضى على هذه الحركة بعد 70 يوماً من بروزها في سنة 137هـ/755م[3].

وقد ظهرت في نفس الوقت حركات فارسية أخرى لها نفس الهدف، من بينها: ثورة إسحاق الترك، الذي كان من بين أحد دعاة أبي مسلم، ثار على مقتل زعيمه في بلاد ما وراء النهر، وادعى بأن أبا مسلم لم يمت بل هو محبوس وأنه سيخرج في وقت معين، وجمع حوله المبيضة(حزب أبي مسلم)، ولكن والي خراسان أبو داوود قتله، ومن بين الحركات الأخرى التي ظهرت كردت فعل على مقتل أبا مسلم لدينا فرقة الراوندية، سنة 141هـ/758م، وقد نشأت قبل أبي مسلم، وكانت تعتقد بالحلول والتناسخ، وإدعت بأن روح عيسى بن مريم صارت في علي بن أبي طالب ثم في إبراهيم بن محمد الإمام ثم إنتقلت إلى أبي العباس ثم إنتقلت إلى أبي مسلم[4].

كما ظهرت حركة أستاذسز في سنة 150هـ، وقد ادعى صاحبها بالنبوة فالتف حوله ثلاثمائة ألف، وبسط نفوذه على خراسان فوجه إليه الخليفة المنصور قائده القدير خازم بن خزيمة فانتصر على الثوار بعد جهد كبير، وقتل منهم سبعين ألفاً في أثناء المعركة، وأربعة عشر ألفاً بعدها، ثم سلم أستاذ سيز مع ثلاثين ألفاً من أتباعه، فأرسل إلى بغداد حيث قتل وأطلق سراح أتباعه[5].

3- إخماد الحركات العلوية:

إغتنم العلويون الظروف الصعبة التي كانت تمر بها الدولة العباسية وأصبحوا يطالبون بحقهم في الخلافة،

---

[1]- المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج.3، ص ص، 212-213؛ عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص.61.

[2]- الطبري، المصدر السابق، ج.7، ص. 492.

[3]- نفسه، ج.7، ص. 495.

[4]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص ص، 69- 72.

[5]- نفسه، ص ص، 72-73.

وقد رفض محمد بن عبد الله بن الحسن(النفس الزكية)، مبايعة المنصور، وبدأ بحركته في سنة 145هـ/762م بالمدينة المنورة، حيث بويع عناك بالخلافة، وسمي بالنفس الزكية لزهده ونسكه، وقد ظل فترة من الزمن مختبأ من المنصور، ولم يظهر إلا بعد القبض على أبيه عبد الله بن الحسن وعمه والكثير من أسرته، فخرج بالمدينة المنورة، وفي نفس الوقت خرج أخوه إبراهيم بمدينة البصرة وإستولى عليها، فانتدب لهم المنصور ولي عهده عيسى بن موسى وأتبعه بالقائد محمد بن قحطبة رفقة جيش كثيف، فقظوا على حركة محمد النفس الزكية بالمدينة، وهو ابن 45 سنة، ثم قظوا على أخوه ابراهيم بالبصرة، وقد فر الكثير من أسرته وتفرقوا في الأقاليم، ففر ابنه علي بن محمد إلى مصر ولكنه قتل هناك، وسار ابنه عبد الله إلى خراسان ثم إلى السند، فقتل هناك، وهرب ابنه الحسن إلى اليمن، فألقي القبض عليه وزج في السجن حتى مات فيه، وهرب أخوه موسى إلى إقليم الجزيرة، وهرب أخوه يحي إلى الري ثم إلى طبرستان، وبقى إلى وقت هارون الرشيد، ومضى أخوه إدريس بن عبد الله إلى المغرب الأقصى وأسس دولة الأدارسة إلا أن المنصور بعث من قتله بالسم، فتولى ابنه إدريس الثاني من تأسيس الدولة الإدريسية الثانية[1].

ثالثا- تشييد مدينة بغداد.

بقت فكرة أن الكوفة لا تصلح لأن تكون عاصمة للعباسيين تقلق بال الخلفاء، وقد أقلقت هذه المشكلة فكر أبو جعفر المنصور، فقد إنتقل أخوه بين ثلاثة أماكن، ولم يضع حلاً جذرياً ومرضياً لمشكلة العاصمة، ولما خلفه المنصور إهتم جدياً باختيار مركز لدولته، ولم يرتح إلى هاشمية الكوفة لأنها لم تكن محصنة تحصينا جيداً، وقد برزت له ذلك الحركة الراوندية، التي كادت أن تقضي عليه، إضافة إلى ذلك كانت هاشمية الأنبار قريبة من مدينة الكوفة مركز العلويين الرئيس[2]، وكان يخشي أهلها حتى قال عنهم:"أهل الشقاق والنفاق والإغراق في الفتن، وأهل المدرة السوء، فوالله ما هي لي بحرب فأحاربها، ولا هي لي بسلم فأسالمها، فرق الله بين وبينها !"[3].

خرج الخليفة بنفسه يرتاد موضعاً جيداً يتخذه مكاناً لبناء عاصمته الجديدة، فأصبح يتردد بين جَرْجَرَايا وبغداد ثم الموصل ثم عاد إلى بغداد، فقال: هذا موضع معسكر صالحٌ، هذه دجلة ليس بيننا وبين الصين شيء، يأتينا فيها كلّ ما في البحر، وتأتينا المِيرة من الجزيرة وأرمينيا وما حول ذلك، وهذا الفُرات يجيء فيه كلّ شيء من الشام والرّقّة وما حول ذلك"[4].

ويذكر الطبري أن المنصور إستشار مجموعة من سكان تلك المنطقة القدامي، فأخبروه على لسان واحد منهم، قائلين:" الذي أرى يأمير المؤمنين أن تنزل أربعة طساسيج(ناحية) في الجانب الغربيّ طسوجين وهما قطربُّل

---

[1]- المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج.3، ص ص، 213-215.

[2]- الطبري، المصدر السابق، ج.7، ص. 614.

[3]- المسعودي، المصدر السابق، ج.3، ص ص، 217-218.

[4]- الطبري، المصدر السابق، ج.7، ص. 614.

وبادورَيا، وفي الجانب الشرقيّ طسوجين وهما نهر بوق وكُلْوادَى، فأنت تكون بين نخل وقرب الماء، فإن أجدب طسُّوج وتأخّرت عمارته كان في الطسّوج الآخر العمارات، وأنت يا أمير المؤمنين على الصَّراة، تجيئك الميرة في السفن من المغرب في الفرات، وتجيئك طرائف مصر والشام، وتجيئك الميرة في السفن من الصين والهند والبصرة وواسط في دجلة، وتجيئك الميرة من أرمينيا وما اتصل بها في تأمَرّا حتى تصل إلى الزاب، وتجيئك الميرة من الرّوم وآمِد والجزيرة والموصل في دجلة، وأنت بين أنهار لا يصل إليك عدوّك إلاّ على جِسْر أو قنطرة، فإذا قطعت الجسر وأخربت القناطر لم يصلْ إليك عدّوك، وأنت بين دِجْلة والفرات لا يجيئك أحدٌ من المشرق والمغرب إلاّ احتاج إلى العُبور، وأنت متوسط للبصرة وواسط والكوفة والموصل والسّوَاد كله، وأنت قريب من البرّ والبحر والجبل"[1].

فازداد المنصور عزماً على النزول في الموضع الذي اختاره، وقال له: يا أمير المؤمنين، ومع هذا فإنّ الله قد منَّ على أمير المؤمنين بكثرة جيوشه وقوّاده وجنده، فليس أحد من أعدائه يطمع في الدنوّ منه، والتدبيرُ في المدن أن تتخذ لها الأسوار والخنادق، والحصون، ودجلة والفرات خنادق لمدينة أمير المؤمنين"[2].

وأعجب المنصور بطيب هواء مكان بغداد وبجود مناخها ولاحظ أنه قليل البق[3]، فنزل وضرب عسكره على الصّراة وبدأ يخطّ المدينة وأوكل بكل رُبْع منها قائداً، ووضع أوّل لبنة بيده، وقال:"بسم الله والحمد لله، والأرض لله يورثها من يشاءُ من عباده والعاقبة للمتقين، ثم قال: ابنُوا على بركة الله"[4].

استغرق بناء بغداد أربعة سنوات ما بين 145-149هـ/762-766م، وقبل أن يبدأ في تشييدها أمر المنصور بأن تخطّ بالرماد، ثم أخذ يدخل من كل باب، ويمر في فصلانها وطاقاتها ورحابها، ثم أمر بأن يجعل على تلك الخطوط حبّ القطن، ويصب عليه النِّفْط، وأخذ ينظر إليها والنار تشتعل، ثم بأن يحفر أساس ذلك على الرسم، ثم أمرهم بالبدأ بالتشييد[5].

وقد حشد الخليفة لبناء عاصمته أمهر الصناع، فوجّه للأمصار يطلب أمهر الصنّاع من الشام والموصل والجبل والكوفة وواسط والبصرة، فحضروا، وأمر باختيار قوم من ذوي الفصل والعَدَالة والفقه والأمانة والمعرفة بالهندسة، فكان ممّن أحضر الحجاج بن أرطاة وأبو حنيفة النعمان بن ثابت، وأمر بخطّ المدينة وحفر الأساسات، وضرب اللّبن وطبخ الآجرّ، وابتدأ في التشييد سنة 145م[6].

---

[1]- الطبري، المصدر السابق، ج.7، ص ص، 616-617.

[2]- نفسه، ج.7، ص. 617.

[3]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 76.

[4]- نفسه، ج.7، ص. 616.

[5]- الطبري، المصدر السابق، ج.7، ص. 618.

[6]- نفسه، ج.7، ص. 618.

اشتغل في بناء المدينة مائة ألف بناء ومهندس وصانع، وأنفق عليها أربعة ملايين وثمانمائة وثلاث وثلاثون ألف درهماً[1].

ويعتبر تخطيط المدينة الجديدة على شكل دائري إتجاه جديد في فن بناء المدن الإسلامية، ومن مزايا التخطيط الدائري هو أن المركز يكون على مسافات متساوية من كل الجهات، ولعل الخليفة تأثر بهندسة بناء العواصم الأسيوية القديمة، ويظهر التأثير الفارسي جليا في التخطيط، إذ فصل الخليفة عن الرعية وجعل له مقاماً سامياً يصعب الوصول إليه، كما أن ضخامة القصر والإيوان تظهر روعة الملك، ثم إن فكرة الاستدارة، وحصر بيوت السكان في أحياء منفصلة، يمكن غلقها ليلاً وحراستها بصورة دقيقة يشير إلى السلطة المطلقة المقتبسة من الفرس، والتي تتعارض مع أرستقراطية العرب الأمويين ومع الديمقراطية الإسلامية على حد سواء[2].

بدأ أبو جعفر المنصور بتأسيس عاصمته الجديدة في سنة 145هـ وانتقل إليها في سنة 149هـ، وقد سماها مدينة السلام، غير أن الناس ظلوا يسمونها بغداد، وهو اسم قديم للرقعة التي أنشئت بغداد فيها، وكانت العاصمة محصنة تحصينا قويا، حيث كان يحيط بها خندق وسورين ضخمين بينهما فسحة من الأرض، وجعل لها أربعة أبواب متقابلة، وعند كل باب دهليز عليه قبة ضخمة، وأنشأ في وسطها قصراً فخماً له إيوان كبير وعليه قبة خشراء عالية، ويلاصق هذا القصر مسجد جامع واسع وعدد من الدواوين، ويحيط بهذه ابنية رحبة، وبين الرحبة والأسوار تمتد دروب كثيرة مستقيمة، تقع عليها طاقات وحوانيت، وزرع على حرسه قطائع ليبنوا عليها بيوتهم، ثم مد إيها قناتين من نهر الدجيل ومن نهر كرخايا، وكانت كل قناة تنفذ في شوارع والدروب ويجري فيها الماء صيفاً وشتاءً دون انقطاع[3].

رابعاً- الأوضاع الخارجية.

كانت الإمراطورية البيزنطية في عهد الخليفة أبو جعفر المنصور تمر بأوقات صعبة، فقد طغى فيهم الطاعون، وكانت الخلافات الداخلية قد كبيرت، وكان الإمبراطور قسطنطين في صراع مع الأيقونات، حيث بطش بالرهبان، وأغلق الأديرة وصادر أملاكهم، كما أنه كان يواجه متاعب خارجية كبيرة من البلغار في منطقة البلقان[4].

إستغل الخليفة أبو جعفر المنصور هذه الظروف في تنظيم أموره في مناطق الجزيرة وقنسرين والعواصم، وبعد ذلك شن حرباً على البيزنطيين إنتهت بانتصار قواته، وأسفرت على عقد معاهدة صلح بينه وبين الإمبراطور قسطنطين، لمدة سبع سنوات، استغلها المنصور لفداء الأسرى المسلمين، وفي تعمير المدن الخربة وترميم الحصون المهدمة، كما قام بجولة إستطلاعية بنفسه لمناطق التخوم، وفي سنة 139هـ/756م نقض البيزنطيون بنود المعاهدة

---

[1]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 78.

[2]- نفسه، ص. 77.

[3]- خالد عزام: العصر العباسي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، 2009م، ص ص، 104-105.

[4]- أمينة بيطار: العصر العباسي، نشورات جامعة دمشق، 1416-1417هـ/1996-1997م، ص. 189.

وخربوا حصن ملطية، فرد عليهم المنصور حيث بعث إليهم جيش قوي بقيادة عمه صالح بن علي، فتوغل في الأراضي البيزنطية، وبعد هذا النجاح أرسل المنصور الحسن بن قحطبة على رأس جيش كبير إلى الثغور وأمره ببناء الحصون من جديد، كما أسكن المنصور فيها أربعة آلاف مقاتل من أهل الجزيرة، وزاد أعطياتهم بعشرة دنانير ومعونة مائة دينار، وأقطع لهم المزارع، وشحن المدن بالسلاح، فبلغ مجموع الحشود في ملطية وحدها عشرة آلاف مقاتل، وحاول الإمبراطور قسطنطين أن يغزوها إلا أنه تراجع[1].

يبدو واضحا للعيان أن الخليفة المنصور اهتم اهتماماً بالغاً في تحصين الثغور، وبث الثقة في أهاليها، كما جعل من منطقة الجزيرة كياناً ادارياً مستقلا، ووشح اساس النظام الثغري الذي وصل إلى حد الكمال أيام الخليفة المعتصم، فكان يقسم المرابطين إلى جماعات صغيرة، كل منها يتألف من عشرة إلى خمسة عشر مقاتلاً، ويبني لهم حصناً على بعد ثلاثين ميلا دار اقامتهم، بالاضافة إلى زيادة العطاء[2].

وقد أعد تنظيم الصوائف والشواتي، فكانت الصائفة تبدأ من عشرة يوليو تموز وتستمر ما يقارب الستين يوماً، وأما الشواتي فلا يتوغل الغزاة فيها ولا يتعدون عن مكان انطلاقهم ولا تتجاوز فترة المسير عشرين يوماً، يحمل فيها الرجل على فرسه ما يكفيه ويكفيها، وتبدأ في آخر فبراير/شباط يستغل الغزاة في ذلك قلة عدد العدو، وأما الربيعية فتبدأ من عشرة مايو/ماي بعد أن يكون الناس قد اربعوا دوابهم، وحسنت أحوال خيولهم، فيقيمون ثلاثين يوما وهي بقية ماي/مارس وعشرة من يونيو/حزيران فيجدون الكلأ في الأراضي البيزنطية[3]. وبذلك يكون المنصور قد وضع أسلوب دفاع وقتال سار عليه أغلب الخلفاء الذين جاؤوا من بعده.

خامساً: ولاية العهد ووفاته.

اهتم الخليفة أبو جعفر بأن يجعل ولاية العهد من بعده لابنه المهدي، فاستطاع أن يقدمه على عيسى بن موسى في سنة 147هـ بعد أن استعمل أساليب الترغيب والارهاب مع عيسى، فصار العهد للمهدي أولاً ثم لعيسى بن موسى من بعده[4].

توفي الخليفة أبو جعفر المنصور يوم السبت لست خلون من ذي الحجة سنة 158هـ، فكانت ولايته اثنتين وعشرين سنة إلا تسعة أيام، وهو حاجٌّ عند وصوله إلى مكة المكرمة، في الموضع المعروف ببستان بني عامر من جادَّة العراق، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة، ودفن بمكة المكرمة وهو مكشوفَ الوجه لأنه كان محرماً، وقيل إنه مات بالبطحاء عند بئر ميمون، ودفن بالحجون، وهو ابن خمس وستين سنة[5].

---

[1]- أمينة بيطار: العصر العباسي، المرجع السابق، ص ص، 189-190.

[2]- نفسه، ص. 191.

[3]- نفسه، ص. 191.

[4]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 81.

[5]- المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج.3، ص، 204.

لم ينسى المنصور قبل أن يتوفى رسم أسس السياسة الرشيدة لإبنه، في وصية هامة نقتطف منها مايلي:

"... وانظر هذه المدينة(أي بغداد) فإياك أن تستبدل بها فإنها بيتك وعزّك، قد جمعت لك فيها من الأموال ما إن كُسِر عليك الخراج عشر سنين كان عند كفاية لأرزاق الجند والنفقات وإعطاء الذّرية ومصلحة الثّغور، فاحتفظ بها فإنك لا تزال عزيزاً ما دام بيت مالك عامراً، وما أظنك تفعل، أوصيك بأهل بيتك، أن تُظهر كرامتهم وتقدّمهم وتكثر الإحسان إليهم، وتعظّم أمرهم وتوطئ الناس أعقابهم وتولّيهم المنابر، فإنّ عزّك عزُّهم وذكرهم لك... وأوصيك بأهل خراسان خيراً فإنهم أنصارك وشيعتُك الّذين بذلوا أموالهم في دولتك وداءهم دونك، ومَنْ لا تخرج محبتك من قلوبهم أن تحسن إليهم وتتجاوز عن مسيئهم وتكافئهم على ما كان منهم، وتخلُف مَن مات منهم في أهله وولده، وإياك أن تستعين برجل من بنى سُليم، وإياك أن تدخل النساء في مشورتك في أمرك"[1].

المحاضرة الرابعة

الخلافة في عهد المهدي والهادي

(158-169هـ/775-785م).

أولاً: عصر المهدي.

1- التعريف بالمهدي.

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عليّ بن علد الله بن العباسة، وأمه هي أم موسى بنت منصور بن عبد الله بن يزيد بن شَمَّر الحِميري، بويع له بالخلافة بمكة المكرمة، صبيحة الليلة التي تُوفِّيَ فيها أبو جعفر المنصور في يوم السبت لستّ ليال خلون من ذي الحجّة سنة ثمان وخمسين[2]. وولد في سنة سبع وعشرين ومائة[3].

يصف الطبري الخليفة المهدي أنه:كان" طويلاً مُضَمَّر الخلْق، جعداً، واختُلف في لونه، فقال بعضهم: كان أسمر، وقال بعضهم: كان أبيض، وكان في عينه اليمنى أو اليسرى نُكتة بياض"[4].

اهتم المنصور بإعداد ابنه للمنصب واعتنى بتدريبه على الحرب والإدارة فأرسله إلى خراسان بصحبة القائد الكبير خازم بن خزيمة لإخماد ثورة الوالي عبد الجبار ابن عبد الرحمن سنة 141هـ وعمره خمس عشرة

---

[1]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص ص، 103-104.

[2]- نفسه، ج.8، ص ص، 108-109.

[3]- المسعودي، المصدر السابق، ج.3، ص. 224.

[4]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص. 171.

سنة، ثم أرسله على رأس حملة إلى طبرستان، وعينه والياً على خراسان والجبال(ومقره الري) بين 148هـ - 151هـ ولما رجع إلى بغداد سنة 151هـ على رأس جيش خراساني بنى له الرصافة لتكون معسكراً لجنده[1].

2- سياسته الداخلية:

إعتلى المهدي العرش بعد انتهاء دور العنف الذي تبع تثبيت أقدام العباسيين في الحكم، حيث ضربت فيه أعناق الخصوم دون هوادة وأريقت فيه الدماء ببساطة، ونكل بالناس على التهمة، حتى أصبحت الأمة منهوكة وساد الهدوء على مضض، وكان الناس كما وصفهم المنصور لإبنه:"إني تركت الناس ثلاثة أصناف: فقيراً لا يرجو إلاّ غناك، وخائفاً لا يرجو إلاّ أمنك، ومسجون لا يرجو الفرج إلاّ منك"[2]، فكان من الضروري اتخاذ سياسة تداوي الجروح وتضم ما تفرق.

فاتبع المهدي سياسة رشيدة رسمها له أبوه في وصيته، حيث قال له:**" يا أبا عبد الله استدم النعمة بالشكر، والقدرة بالعفو، والطاعة بالتألّف والنصر بالتواضع، ولا تنس نصيبك من الدنيا نصيبَك من رحمة الله...لا تبرِم أمراً حتى تفكّر فيه، فإنّ فكر العاقل مرآته، تريه حسنه وسيّئه،... يا أبا عبد الله، لا يصح السلطان إلاّ بالتقوى، ولا تصح رعيّته إلا بالطاعة، ولا تعمّر البلاد بمثل العدل، ولا تدوم نعمة السلطان وطاعته إلا بالمال، ولا تَقْدُمُ في الحياطة بمثل نقل الأخبار وأقدُر الناس على العفو أقدرهم على العقوبة، وأعجز الناس مَنْ ظلم مَن هو دونه، واعتبر عملَ صاحبك وعلمَه باعتباره، يا أبا عبد الله، لا تجلس مجلساً إلا ومعك من أهل العلم مَن يحدّثك"**[3].

كما أوصاه قائلا:**"وليس انصافك وينبسط عدلك ويؤمن ظلمك، وواس بين الرعية في الاحكام.. وأهل الدين فليكونوا أعضادك، واعط حظ المسلمين من أموالهم.. وتابع اعطياتهم عليهم وعجل بنفقاتهم اليهم سنة سنة وشهراً شهراً، وعليك بعمارة البلاد بتخفيف الخراج واستصلح الناس بالسيرة الحسنة والسياسة الجميلة، وليكن أهم أمورك اليك حفظ أطرافك وسد ثغورك وإكمال بعوثك، وآرغب الى الله عزوجل في الجهاد والمحاماة عن دينه وإهلاك عدوه"**[4].

لذلك أول شيء قام به الخليفة المهدي بعد تربعه على العرش هو استرضاء الرعية، فنظر في "دفتر القبوض" الذي سجل فيه الخليفة المنصور كل ما أخذه من أموال الناس بالمصادرة لجنايات مختلفة، فنادى كل من أُخذ منه شيء وأرجعه إليه، ويكون بذلك قد طبق وصية والده، إذ قال له:"يا بني إني قد أفردت كل شيء أخذته من الناس على وجه الجناية والمصادرة وكتبت عليه أسماء أصحابه، فإذا وليت أنت فأعده على أربابه ليدعو لك الناس

---

[1]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 84.

[2]- نفسه، ص. 85.

[3]- الطبري، المرجع السابق، ج.8، ص ص، 71-72.

[4]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 85.

ويحبوك"[1].

من بين الأمور التي إفتتح الخليفة المهدي عهد حكمه هو إطلاق كافة المساجين، حيث يقول الطبري أنه في سنة 159هـأمر المهدي "بإطلاق مَنِ كان في سجن المنصور، إلا من كان قبلَه تِباعة من دم أو قتل، ومَنْ كان معروفاً بالسعي في الأرض بالفساد، أو مَنْ كان لأحد قِبَله مظلمة أو حقّ، فأطلِقوا، فكان ممن أطلِق من المَطْبَق يعقوب بن داود مولى بني سليم"[2].

وحاول أن يفتح صفحة جديدة مع العلويين فرسم سياسة جديدة اتجاههم حيث أخرج من كان منهم في السجن، وأمر بإعطائهم الأموال ووصلهم بالأرزاق، وقد ساعد استيزاره ليعقوب بن داود على زيادة التفاهم معهم، فرضي عن الحسن بن إبراهيم الذي هرب من السجن واستخدم عدداً لا بأس به من الزيدية[3].

رسم المهدي سياسة جديدة تجاه منطقة الحجاز، حيث عمل على إسترضاء أهلها في أثناء حجه سنة 160هـ، فوزع عليهم أموالاً طائفة(ثلاثين مليوناً من الدراهم، ونصف مليون دينار ومائة وخمسين الف ثوب"، وفك الحصار الإقتصادي الذي كان مضروب عليها بحيث سمح بأن تنقل الحبوب من مصر واليمن، فوصلت إليه من مصر حوالى ثلثمائة ألف دينار، ومن اليمن مائتا ألف دينار، فقسم ذلك كله، كما وزع مائة ألف ثوب وخمسين ألف ثوب، وأمر بنزع كسوة الكعبة البالية التي كانت عليها وكساها بكسوة جديدة، وأمر بالتوسيع في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث طلب بنزع المقصورة التي فيه، وأراد أن ينقص من المنبر ويرجعه إلى ما كان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يفعل[4].

كما قام في سنة 167هـ بالتوسعة في المسجد الرام، حيث إشترى دور كثيرة وهدمها وزاد في التوسعة، وعين يقطين بن موسى مسؤولاً على التوسعة، حيث مكث في عمله إلى أن توفى الخليفة المهدي[5].

ولكي يثبت نيته الحسنة تجاه أهل الحجاز قام باصطفاء لنفسه خمسمائة رجل من الأنصار وأجرى عليهم الأرزاق الواسعة وجعلهم حرسه الخاص[6]، ولعل أراد بعمله هذا بالاضافة إلى استرضاء الحجازيين حفظ التوازن بين العرب والخراسانيين في الجيش[7].

إهتم الخليفة كذلك ببلاد الشام، حيث زار مدينة دمشق وبيت المقدس، وحاول تسوية الخلافات التي كانت

---

[1]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 85.

[2]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص. 117.

[3]- نفسه، ج.8، ص ص، 117-118.

[4]- نفسه، ج.8، ص. 133.

[5]- نفسه، ج.8، ص. 165.

[6]- نفسه، ج.8، ص. 133.

[7]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 86.

موجودة بين القبائل في بادية الشام وفرق المال بينهم[1].

أمر الخليفة المهدي ببناء القصور أوسع من تلك القصور التي كانت على طول الطريق المؤدية إلى مكة المكرمة، والتي كان أبو العباس بناها من القادسية إلى زبالة، وأمر باتخاذ المصانع في كل منهل، وبتجديد الأميال والبرَك، وحفر الرّكايا مع المصانع، وأوكل هذا الأمر إلى يقطين بن موسى فقام بذلك إلى سنة 171هـ[2]. كما أمر بأن يقام البريد بين مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وبين مكّذة واليمن، وأقام عليها الدواب، ولم تكن قبل هذا بريد بين تربط بين تلك الولايات[3].

ومن بين الأعمال التي قام بها المهدي هو التوسعة التي قام بها للمسجد الجامع بالبصرة، حيث تم توسعته من مقدّمه مما يلي القبلة، ومن جهة اليمية مما يلي رحبة بنى سُليم، وقد أوكل ذلك إلى والي البصرة محمد بن سليمان، كما أصدر أمرا بإزالة المقصورات من المساجد الجامعة، وتقصير المنابر وجعلها على المقدار الذي كان عليه منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أمر من يعقوب بن داود بتوجيه الأمناء في جميع الآفاق[4].

من بين الأعمال الحضارية التي قام بها هو تشييده قصراً كبيراً بعيساباذ، وقصر أخر بالأجر سماه قصر السلامة[5].

تقرب الخليفة المهدي لأقاربه وبر أهله ومواليه، وجعل لكل واحد من أهل بيته في كل سنة ستة آلاف درهم، وأكرم عامة أولاد المهاجرين والأنصار سنة 164هـ، وفرق عليهم ثلاثة ملايين درهم[6]. وفي سنة 162هـ وضع الخليفة المهدي دواوين الأزمة وولّى عليها عمر بن بزيع مولاه، كما أمر أن يجرى على المجذومين وأهل السجون في جميع الآفاق[7].

اهتم المهدي بإقامة العدل، فكان يجلس في كل وقت لرد المظالم، وانصف الناس حتى من نفسه، وكان يشرك القضاة معه عند النظر في المظالم، ويقول:" لو لم يكن ردّى للمظالم إلا للحياء منهم لكفى"[8]، وأراد بذلك بالاضافة إلى حفظ العدل إحاطة الخلافة بجلال الدين، وبلغ به الاهتمام بالعدل أنه اتخذ بيتاً له شباك حديد تطرح

---

[1]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 86.

[2]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص. 136.

[3]- نفسه، ج.8، ص. 162.

[4]- نفسه، ج.8، ص. 136.

[5]- نفسه، ج.8، ص. 150.

[6]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 186.

[7]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص. 142.

[8]- نفسه، ج.8، ص. 172.

فيه عرائض الشكايات وتجمع بعد ذلك لئلا يبقى مجال للتقديم والتأخير في سمع الظلامات[1].

في الحقيقة أن المهدي من خلال إصلاحاته هذه كان يريد التكفير عن التجاوزات التي طبع بها عصري السفاح والمنصور، وبالرغم من ميله إلى الحياة المترفة إلا أنه كان يجل الدين أيما إجلال ويعمل على إتباع السنة الحميدة.

3- تعامله مع بعض المشاكل:

أ- الحركات المناهضة:

استمرت الحركات الفارسية التي كانت في عهد الخليفة المنصور نشيطة في أيام المهدي، وقد أخمد الخليفة حركة المقنع الخراساني المسمى هاشم بن حكيم(159-163هـ/776-779م)، وقد لقب بالمقنع لأنه تبرقع بحرير أخضر على بعض الروايات أو أنه اتخذ وجهاً من ذهب على وجهه لئلا يرى، لأن الأحياء لا يستطيعون تحمل نوره، بينما يرى الكثير بأنه كان أعور مشوه الوجه فعمل على إخفائه، ، وخرج من مرو وادعي الألوهية، وربط حركته بزعيمهم الروحي أبو مسلم الخرساني، فكانت استمرار لكل من حركة: سنباذ والراوندية وأستاذ سيس، تهدف إلى إسقاط الدولة العباسة، أما من الناحية الدينية فقد تأثرت حركة المقنع بمعتقدات الخرمية والمزدكية، فنادي المقنع بفكرة التناسخ وإبطال التكاليف الشرعية، فتبعه خلق كثير من بخارى والصغد وكش ونسف، ولكن الخليفة المهدي تمكن منهم فأحرق زعيمهم نفسه قبل أن يتم القبض عليه[2].

ب- محاربة الزنادقة:

يختلف الباحثون في أصل كلمة الزندقة اختلافاً كبيراً، فمن قائل: إنه إغريقي ومن قائل: أنه آرامي، ومن قائل: إنه فارسي معرب عن زنديك، والرأي الأخير هو الصَّحيحُ، فإن الكلمة كانت تطلق بمعناها الأصلي على المؤمن المخلص من أتباع ماني، ولما كان الزرادشتية يعتبرون المانوية ملحدين وخارجين عليهم، فقد أطلقوا كلمة زنديق على كل ملحد لا يؤمن بالدين الحق[3].

وهناك رواية أخرى مفادها أن أبرار المانوية وزهادهم كانوا يفرضون على أنفسهم إيثار المسكنة وقمع الحرص والشهوة ورفض الدنيا والزهد فيها ومواصلة الصوم والتصدق بما أمكن وتحريم اقتناء شيء خلا قوت يوم واحد ولباس سنة، وإدامة التطواف في الدنيا للدعوة والإرشاد، فكانوا يدعون بالعربية"الصدّيقون" وواحدهم "صديق"، ولعل الأصل الآرامي لهذه الكلمة (Saddiquai) فصارت بالفارسية(زنديك) ثم عربت على زنديق

---

[1]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص ص، 86-87.

[2]- نفسه، ص ص، 91-93.

[3]- حسين عطوان: الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول، دار الجيل، بيروت، د.ت.ن، ص. 12.

وهكذا أطلقت كلمة زنديق على المانوي أول الأمر ثم صارت تستعمل بمعنى ملحد فيما بعد[1].

والزنادقة في الدولة العباسية هم المانوية الذين كانوا يظهرون الإسلام، ويبطنون الزندقة، وأنهم كانوا منظمين لهم رؤساؤهم من كبار الوزراء والأدباء والكُتَّاب والشعراء من الموالي الفُرسِ خاصةً، ولهم كُتُبهم التي كانوا يتداولونها ويتدارسونها[2].

والخليفة المهدي له مفهوم خاص عن الزنادقة، ويتجلى ذلك في الوصية التي تركها لإبنه الهادي:"يا بني إن صار لك هذا المر فتجرد لهذه العصابة(يعني أصحاب ماني) فإنها فرقة تدعو الناس إلى ظاهر حسن كاجتناب الفواحش والزهد في الدنيا والعمل للآخرة، ثم تخجها إلى تحريم اللحم ومس الماء الطهور، وترك قتل الهوام تحرجاً وتحوباً، ثم تخرجها من هذه إلى عبادة اثنين أحدهما النور والآخر الظلمة، ثم تبيح بعد هذا نكاح الأخوات والبنات والاغتسال بالبول وسرقة الأطفال من الطرق لتنقلهم من ضلال الظلمة إلى هداية النور"[3].

وقد كان الخليفة المهدي شديداً على أهل الالحاد والزنادقة، لا تأخذه في إهلاكهم لومة لائم، وقد جد الخليفة في سنة 167هـ في طلب الزنادقة والبحث عنهم في الآفاق، وقتلهم، وقد عين عمر الكلواذي لتتبعهم، وقد تتبعهم وظفر على خلق كثير منهم[4]. وضل الكلواذي في منصبه يباشر عمله إلى أن توفي في سنة 168هـ فعين حمدَوَيْه محمد بن عيسى في مكانه، فقتل عدد كثير من الزنادقة في بغداد[5].

ج- الأمور الإدارية:

كان عهد المهدي عهد استقرار سياسي وإداري، وقد ظهرت في عهده أبهة الوزارة، إذ كان الخليفة يعطي وزراءه سلطة واسعة، فقد استوزر أبي عبيد الله بن يسار(159-163هـ) الذي كان كاتبه ونائبه قبل الخلافة، وفوض إليه تدبير المملكة وسلم إليه الدواوين، ثم استوزر بعده يعقوب بن داوود فسماه أخاً في الله ووزيراً وأخرج بذلك توقيعات تثبت في الدواوين، وفوض الأمور إليه[6].

وقد تفرد يعقوب بتدبير الأمور كلها، وغلب على أمر الخليفة المهدي وغطى على وزرائه، حتى أصبح يتبادر إلى الأذهان بأن يعقوب بن داود هو الخليفة لا المهدي[7].

---

[1]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 87.

[2]- حسن عطوان، المرجع السابق، ص. 12.

[3]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص ص،89-90. أخذها عن الطبري.

[4]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص. 165.

[5] نفسه، ج.8، ص. 167.

[6]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 95.

[7]- نفسه، ص. 96.

وقد لعبت الدسائس والوشايات دورا بارزاً في تعيين وعزل الوزراء، فعزل ابن أبي يسار الربيع بن يونس عن طريق الدسائس لأنه كان يكرهه، وقد اعترف الربيع بأنه لم يكن يجهل عمله لأنه من أحذق الناس، وما هو بمختلس لأنه كان من أعف الناس، ولم يكن خائن لأنه مخلص للدولة العباسية، ولم يتهم في دينه لأن عقيدته وثيقة، وكان للربيع فضل كبير في استيزار يعقوب بن داود[1].

ولكن تم التنكيب بيعقوب حوالي سنة 166هـ وقد أختلف في سبب نكبته، فمن قائل بأنه كان يميل للطالبيين، ومن قائل بأنه كان يرى الإمامة في الأكبر من ولد العباس، وأن غير المهدي من عمومته كان أحق بها[2].

توسعت الدواوين في عهد الخليفة المهدي، فقد عمل هذا الأخير إلى إنشاء دواوين الأزمة، وكان أول من تولىّ عليها عمر بن بَزِيع، في سنة 162هـ، فعين عمر بن بزيع النّعمان بن عثمان أبا حازم زمام خراج العراق[3]. وفي سنة 168هـ أحدث ديوان زمام الأزمة، ولا شك أن هذه التنظيمات الجديدة كانت تتماشى مع تطور الدولة العباسية، واتجاهها نحو المركزية القوية في الادارة[4].

وأراد المهدي أن يتأكد من وصول رسائله إلى العمال بصورة منتظمة، فأمر يعقوب بن داود سنة 161هـ، وذلك عن طريق توجيه الأمناء في جميع الآفاق فعمل به فكان لا ينفذ للمهدي كتاب إلى عامل، فيجوز حتى يكتب يعقوب بن داوود إلى أمينه وثقته بإنفاذ ذلك[5]. ثم أصدر الخليفة المهدي مرسوما يحدد فيه يوم الخميس يوم عطلة للكتاب لقضاء شؤونهم وللراحة بينما كانت الجمعة عطلة للعبادة والصلاة، وقد استمر هذا الوضع حتى خلافة المعتصم[6].

<u>رابعاً- علاقاته مع البزنطيين.</u>

سار الخليفة المهدي على نفس خطة والده المنصور في الاهتمام بتحصين حدود دولته مع البيزنطيين العدو اللدود، فأكمل تحصين بعض المدن والحصون التي لم تتم في عهد المنصور، وبعدها تفرغ لإرسال الحملات العسكرية ضد البزنطيين[7].

---

[1]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 96.

[2]- نفسه، ص. 96.

[3]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص. 142.

[4]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 98.

[5]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص.136.

[6]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 98.

[7]- نفسه، ص. 94.

ففي سنة 159هـ/776م أرسل ليون الرابع حملة عسكرية ضد مدينة سمسياط فأسرت كثيراً من الناس[1]، فبعد الخليفة المهدي حملة عسكرية بقيادة العباس بن محمد فتغلغل حتى وصل إلى أنقرة، وفتح غزاته مدن كثيرة من بينها مطمورة، ثم عادوا سالمين[2]. وفي سنة 161هـ/778م غزا الصَّائفة ثمامة بن الوليد، فوصل إلى مدينة دابق وتصارع مع الجيش البيزنطي بقيادة ميخائيل، فخس المسلمون عدد كثير من الجند[3].

وفي سنة 162هـ/779م تقدم البزنطيون على الحدث وخربوا سورها واستمروا في التخريب حتى قرب الحدود السورية، فغزا الصائفة الحسن بن قحطبة بجيش من ثلاثين ألف مرتزق من العراق والحجاز، ومجموعة من المتطوعين، وسار من جهة طرسوس فأكثر التخريب والتدمير في بلاد الروم دون أن يفتح حصناً[4]، وفي سنة 163هـ/780م قرر الخليفة السير بنفسه للصائفة، فجهز جيشاً قوياً، وسار صحبة ابنه هارون إلى منطقة الحلب عن طريق مدينة حلب، وقد أشار عليه الحسن بن قحطبة بضرورة تحصين طرسوس وتحصينها بالجند لأهميتها العسكرية في الحرب مع البيزنطيين، ولكن الخليفة أمره بأن يبدأ بمدينة الحدث، وتقدم الخليفة إلى البستان ثم رجع تاركاً القيادة لإبنه هارون، فسار إلى حصن سمالو وحاصره ثمانياً وثلاثين ليلة سلمت بعدها الحامية، وبعد هذه الحملة احتل العرب طرسوس وحصنوها بأمر الخليفة، وفي هذه السنة توفي إمبراطور بيزنطة ليون فتولت العرش زوجته إيرين(Irene) كوصية على ابنها الصغير قسطنطين[5].

وفي سنة 156هـ/782م، غزى الأمير هارون صحبة الربيع بن يونس الصائفة ضد البيزنطيين، وكان الجيش يتشكل من أهل الشام والجزيرة وخراسان وبلاد العرب، فافتتح هارون حصن ماجدة ثم تقدم حتى وصل البوسفور واضطر الامراطورة إيرين إلى طلب الصلح، فعقدت هدنة بين الطرفين لمدة ثلاث سنوات، ومن أهم بنوذها: أن تدفع الإمبراطورة جزية سنوية مقدارها تسعون أو سبعون ألف دينار، وأن تجهز الجيش بالادلاء وتسهيل له التموين في طريقة رجوع الجيش، ثم حصّن هارون المصيصة وزاد في حاميتها، وكانت غنائم المسلمين من هذه الغزوة عظيمة، فقال مروان بن أبي حفصة مخلدا هذه الغزوة:

أطفت بقسطنطينة الروم مسنداً إليها القنى حتى اكتسى الذل سورها

وما رمتها حتى أتتك ملوكـها بجزيتها والحرب تغلي قـــدورها[6].

---

[1]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 94.

[2]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص. 116.

[3]- نفسه، ج.8، ص. 136.

[4]- نفسه، ج.8، ص ص، 142-143.

[5]- نفسه ، ج.8، ص ص، 144-145.

[6]- نفسه، ج.8، ص ص، 152-153.

خامساً: ولاية العهد ووفاته.

لما أفضى الأمر إلى المهديّ سأل عيسى بن موسى أن ينزع نفسه من ولاية العهد فرفض، فحاول نزعه بالقوة، وشدد عليه الأمر فعين روح بن حاتم بن قبيصة ابن المهلب على الكوفة، فعين على الشرطة خالد بن يزيد بن حاتم، وأوصاه بالتضييق على ولي العهد عيسى بن موسى، وكان هذا الأخير قد هرب إلى ضيعة له بالرُّحبة، فكان لا يدخل الكوفة إلاّ في شهرين من السنة في شهر رمضان، فيشهد الجُمَع والعيد ثم يرجع إلى ضيعته، وفي أول ذي الحجة، فإذا شهد العيد يرجع إلى ضيعته، فكتب رَوْح إلى المهدي أن عيسى لا يشهد الجُمَع، ولا يدخل الكوفة إلاّ في شهرين من السنة، ثم هدده المهدي بالتنحي عن ولاية العهد قائلا:"إنك إن لم تجبني إلى أن تنخلع منها حتى أبايع لموسى وهارون استحللتُ منك بمعصيتك ما يستحَلّ من العاصي، وإن أجبتني عوّضتك منها ما هو أجدى عليك وأعجل نفعاً، فأجابه إلى ذلك، فبايع لإبنيه وأمر لعيسى بن موسى بعشرة آلاف ألف درهم-وقيل عشرين ألف ألف- وقطائع كثيرة[1]. وكان ذلك في سنة 159هـ.

توفي الخليفة المهدي في سنة 169هـ بعد أن إصطدم بباب خربة وهو يمارس عملية الصيد، حيث طردت الكلاب ظبياً، فتبعها الخليفة فدُق ظهرُه في باب الخربة، فمات من ساعته، وقيل أن الخليفة مات مسموما، حيث وضعت جارية من جواريه السم لضرة لها بلبِأ فيه سم، ولم مرت بمحذاته وهو جالس في البستان، فدعا به وشرب منه فمات[2]. وقد صلى عليه ابنُه هارون، ولم يجدوا جنازة يُحمل عليها، فحُمل على باب، ودفن تحت شجرة جوز كان يجلس تحتها، وكانت خلافته عشر سنين وشهراً ونصف شهر، وقال بعضهم بل كانت: عشر سنين وتسعة وأربعين يوماً، وتوفي وهو ابن ثلاث وأربعين سنة[3].

ثانياً: خلافة موسى الهادي

(169-170هـ)

1- البيعة:

ولد موسى الهادي بمدينة الريّ في سنة 147هـ وأمه أم ولد بربرية اسمها الخيزران، وكان طويلاً، جميل المظهر ذو جسم قوي، وكان يسمى موسى أطِبِق لأن شفته العليا كانت تقلص، وقد أوكل والده إلى خادمه لرعايته، فكان كلما رآه مفتوح الفم قال له: موسى أطبق، فيفيق على نفسه ويضم شفتيه، فاشتهر بذلك الإسم، وكان نقش خاتمه"موسى يؤمن بالله"[4].

---

[1]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص ص، 121-122.

[2]- نفسه، ج.8، ص ص، 168-169.

[3]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص. 171.

[4]- أحمد بن يوسف القرماني: أخبار الدّول، المصدر السابق، ص ص، 80-81.

يقول عنه المؤرخ المسعودي أنه:"كان قاسي القلب، شرس الأخلاق، صعب المرام، كثير الأدب، محباً له، وكان شديداً شجاعاً، بطلاً، جواداً، سخياً"[1]. وقد نشأ الهادي في محيط مترف نظهر أثر ذلك في أخلاقه فكان كثير الميل للأدب فقد كان له فيه ثقافة واسعة، وكان يحب الغناء فقرب منه إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق، فأعطى الأول خمسين ألف دينار من أجل غنائه ثلاثة أبيات أطربته[2].

بويع موسى بن محمّد بن عبد الله بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس بالخلافة، في اليوم الذي تُوفِّىَ المهدىّ، وكان موجود بجُرجان يخوض حرب ضد أهل طَبَرِسْتان، وتوفى المهدىّ بماسبذان ومعه ابنه هارون، فأخذ له أخوه الرشيد البيعة العامة ببغداد[3]. وهو ابن أربع وعشرين سنة وثلاثة أشهر[4].

2- سياسته:

يمكن القول أن الخليفة الهادي إنقلب على جميع سياسة والده المهدي، واقتدى بسياسة الخليفة أبو جعفر المنصور، فيما عدى قضية المواصلة في تتبعه الزنادقة، فقد اشتدّ في طلبهم، وقتل منهم خلق كثير، من بينهم: يزيد بن باذان كاتب يقطين، وابنه علىّ بن يقطين من أهل النَّهروان، الذي نظر إلى الحجاج وهم يطوفون مهرويلين بالبيت العتيق، فقال:" ما أشبَههم إلا ببقر تدوس في البَيدَر"، فرد عليه العلاء بن الداد الأعمى بأبيات شعرية وجهها للخليفة:

"أيا أمين اللهِ في خَلقِهِ ووارثَ الكعبةِ والمِنبَرْ

ماذا تَرَى في رجلٍ كافرٍ يُشْبَهُ الكعبةَ بالبَيْدَرْ

ويَجعلُ الناسَ إذا ما سَعَوْا حَمْراً تَدوسُ البُرَّ والدَّوْسَرْ !"[5]. فقتله الخليفة ثم صلبه.

أما فيما يخص سياسته تجاه العلويين فقد شدد عليهم، وجد في طلبهم وقطع ما كان والده المهدي يجري لهم من الأرزاق والأعطيات، وكتب إلى الآفاق في طلبهم وحملهم إليه[6]، ومن جراء هذه السياسة خرجوا عليه بزعامة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن في أثناء الحج سنة 169هـ، فتخلص منهم في منطقة فخ بين المدينة ومكة المكرمة، وكانت تلك الواقعة مهمة بنتائجا إذ هرب منها إدريس بن عبد الله بن الحسن إلى بلاد المغرب، وإنتهت

---

[1]- المسعودي، مروج الذهب، ج.3، ص. 236.

[2]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 100.

[3]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص. 187.

[4]- المسعودي، مروج الذهب، ج.3، المصدر السابق، ص. 235.

[5]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص. 190.

[6]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 101.

سياسة اللين التي اتبعها الخليفة المهدي مع الطالبيين[1].

3- الوزارة:

لقد أعطى الهادي منصب الوزارة للربيع، وأضاف إليه ديوان الزمام، ثم أعطى لعمر بن بزيع الوزارة وديوان الرسائل، وجعل الربيع على ديوان الزمام فقط، وظل في منصبه إلى غاية وفاته، وقِيل بأن الخليفة الهادي دس له السم فمات[2]

4- تدخل المرأة في السلطة:

كان الخليفة الهادي يحترم والدته الخيزران كثيرا، ويجعل لها مكانة مرموقة، حيث كان يلبي لها كل طلباتها وينفذ لها كل حوائجها فيما تسأل للناس، لذلك كانت أبواب قصرها تعج بالطالبين، وكانت المواكب لا تخلو عن بابها، وقد أقلق هذا الأمر الخليفة الهادي، وغضب على هذا الأمر ومنعها من التدخل في شؤونه وشؤون دولته، قائلا:" لئن بلغني أنه وقف ببابك أحد من قوادي، أو من خاصتي، أو من خدمي، لأضربنّ هنقه، ولأقبضنّ ماله، فمن شاء فليلزم ذلك، ما هذه المواكب التي تغدو إلى بابك كل يوم؟ أما لك مغزل يشغلك، أو مُصحف يذكرك، أو بيت يصونك؟ إياك ثم إياك أن تفتحي فاك في حاجة لمسلم ولا ذمّي، فانصرفت وما تعقل ما تطأ"[3].

5- ولاية العهد ووفاته:

أراد الخليفة الهادي خلع أخيه الرشيد من ولاية العهد، وإعطائها لابنه جعفر بن موسى الذي كان صغيراً، وقد وقف له مربي الرشيد يحي بن خالد البرمكي فوضعه في السجن، وأراد أن يتخلص منه، فتدارك أمره بحيلة، حيث قال للخليفة:"يا أمير المؤمنين، أرأيت إن كان ما أسأل الله أن يعيذنا منه، وأن لا يبلغناه، ويَنسَأ في أجَلِ أمير المؤمنين، أيظن أن الناس يُسلمون لجعفر ابن أمير المؤمنين الأمر ولم يبلغ الحنْث، ويرضون به لصلاتهم وحَجِّهم وغزْوهم؟ قال: ما أظن ذلك، قال: فتأمن أن يسمو إليها جلة أهل بيتك فتخرج من ولد أبيك إلى غيرهم؟ فتكون قد حملت الناس على النكث، وهَوّنت عليهم أيمانهم، ولو تركت بيعة أخيك على حالاها وبُيعَ لجعفر بعده كان آكد، فإذا بلغ الرجال سألت أخاك أن يقدمه على نفسه، قال: نبهتني والله على أمر لم أكن قد انتبهت له"[4].

ولكن الخليفة رجع على وعده وقرر خلع أخيه الرشيد من ولاية العهد وإعطائها لإبنه الصغير، وطلب من رجاله التضييق على أخيه الرشيد في الكثير من تحركاته، وكان أن يقنعه بتنحية نفسه لولا تدخل مربيه يحي البرمكي وأشار عليه بطلب الإستئذان من الخليفة لذهاب إلى الصّيد، فيختفى عن أنظاره فلا يتمكن الخليفة من

---

[1]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص. 192-203.

[2]- المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج.3، ص. 237.

[3]- نفسه، ج.3، ص. 238.

[4]- نفسه، ج.3، ص. 241.

الوصول إلى مراده، فنجى الرشيد من الأمر، وأبطأ الرشيد الغياب فكان الخليفة يرسل في طلبه عدة مرات، ولكن دون جدوى وبقى الرشيد مختفى إلى وفاة الخليفة موسى الهادي[1].

تُوفِّيَ موسى الهادي ليلة الجمعة للنصف من شهر ربيع الأول وقيل أنه تُوفِّى يوم السبت، لعشر خلت من ربيع الأول وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وكانت خلافته سنة وشهراً وثلاثة وعشرين يوماً[2].

ويحيط بوفاته بعض الغموض، فالمسعودي فلم يوضح كيفية وفاة الخليفة وإكتفى بذكر: "أنه توفي بمدينة بعيساباذ غير بعيد عن مدينة السلام في سنة سبعين ومائة، لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول من هذه السنة، وكانت خلافته سنة وثلاثة أشهر"[3]. أما الطبري فيذكر أن هناك روايتين في كيفية وفاة الخليفة: الأولى: هي وفاته بعد إصابته بقرحة في معدته، أما الثانية: إتهم فيها جوار أمه الخيزران في قتله، وذلك بعد القطيعة التي حدثت بينه وبين أمه[4].

المحاضرة الخامسة

الخلافة في عهد هارون الرشيد

(170-193هـ/786-808م).

أولا: التعريف بأبي هارون الرشيد.

هو هارون جعفر بن محمد المهديّ، وأمه الخيزران البربرية، كان يكنى بأبا موسى، وأبي جعفر، كان أبيض البشرة جميل، طويل القامة، في شعره شيب أبيض، ولد بمدينة الري في الوقت الذي كان والده المهدي أميراً عليها وعلى خراسان، في سنة ثمان وأربعين ومائة هجرية[5]، في حين يذكر الطبري أنه ولد باري لثلاث بقين من شهر ذي الحجة سنة 145هـ، ويذكر أن الربامكة تزعم أن ولادته كانت في الأول من محرم سنة 149هـ، في نفس الوقت الذي ولد فيه الفضل البرمكي في 7 بقين من ذى الحجة من نفس السنة، وقد أرضعته أم الفضل زينب بنت منير، في المقابل أرضعت الخيزران أم الرشيد الفضل البرمكي، فأصبحى إخوة بالرضاعة[6].

بويع له بالخلافة في نفس الليلة التي توفي فيها أخيه الهادي(170هـ/786م)، وكانت تلك الليلة عجيبة، حيث

---

[1]- المسعودي، مروج الذهب، المصدر السابق، ج.3، ص. 241.

[2]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص. 213.

[3]- نفسه، ج.3، ص. 235.

[4]- نفسه، ج.8، ص. 205.

[5]- أحمد بن يوسف القرماني، أخبارُ الدّول، المصدر السابق، ص. 82.

[6]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص. 230.

مات فيها الخليفة الهادي، وولي فيها خليفة وهو هارون، وولد له فيها خليفة وهو المأمون، وكان نقش خاتمه"العظمة والقدرة لله عز وجل"[1].

يعتبر الخليفة الرشيد من بين أوسع العباسيين شهرة في التاريخ، فقد امتزجت في ذكر أخباره الحقائق التاريخية بروعة الخيال والمبالغة في الأقاصيص، فأصبح رمز العصر الذهبي في التاريخ الإسلامي، واكتسى بمجموعة من الصفات البعيدة الاختلاف والتي يندر أن تجتمع في شخص واحد[2].

فالرشيد سيد ملوك بني العباس قاطبتاً بلا منازع، بلغ بملكهم مالم يبلغه أحد قبله ولا بعده، من سعة الافاق وهيبة السُّلطان، وتأمين الحدود والثُّغور، عرفه الشَّرق من الصِّين وعرفه الغرب حتَّى فرنسه، فترنَّم بسيرته، وبعظمة دولته ونظامها ورفاهيتها وعلمائها من لم يقرأ التّاريخ أو يهتم به[3].

وهو الخليفة الذي كان يناظر العلماء، ويحضر مناظراتهم بعقل كبير وحكيم، ويقرض الشِّعر ويرويه، أُستاذه قاضي القضاة أبو يوسف، وقاضيه محمد بن الحسن الشيباني، وهو يستمع إليهما، وإلى مالك بن أنس، والأصمعي والكِسائي، وفي دولته جابر بن حيان، والخوارزمي، والكندي... الّذين أحدثوا أعظم الأثر في الحضارة العلميّة، وحينما كان ينتقل في أرجاء دولته يتبعه الرواة والعلماء والقضاة في موكب علميٍّ مهيب[4].

فهو يصور حيناً بصورة الخليفة الباذخ المسرف في الترف، ويصور آناً بصورة الخليفة المحارب القوي الفاعل الذي أذل أعداء الاسلام وفرض الجزية على الروم، وهو يظهر بمظهر الخليفة الحذر الذي يبث شبكة من الجواسيس ليعرف أمور الناس وأحوالهم ولا يكتفي بذلك بل يطوف الأسواق ويزور المجالس متنكراً ليعرف بنفسه ما يدور، كما يتمثل لنا بشكل الخليفة الورع الناسك الذي تسقط المواعظ عبراته فهو أول من حج ماشياً من الخلفاء، ويحج ثماني حجج ويغزو ثماني غزوات، فهو بين حج وغزو طيلة حياته، ويصلي في اليوم مائة ركعة ويتصدق من صلب ماله بألف درهم في كل يوم، ويخلو بنفسه فينهمك بالملذات والمجون فيرقص في حضرته مائة من الجواري، ويمتع بشرب النبيذ، ولا يهمل الحياة العائلية فيتزوج ست زوجات ويتسرى بعشرين أمة، ويخلف عدداً كبيراً من الأولاد[5].

ويذكر ابن كثير نقلا عن الجاحظ أنه:"اجتمع للرشيد من الجند والهزل ما لم يجتمع لغيره من بعده، كان أبو يوسف قاضيه، والبرامكة وزراءه، وحاجبه الفضل بن الربيع أنبه الناس وأشدهم تعاظما، ونديمه عمر بن العباس

---

[1]- أحمد بن يوسف القرماني، أخبارُ الدّول، المصدر السابق، ص. 82.

[2]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص ص، 104-105.

[3]- شوقي أبوخليل:هارون الرشيد أمير الخلفاء وأجل ملوك الدنيا، دار الفكر المعاصر للنشر، بيروت- لبنان/ دمشق- سوريا، 1999م، ص.11.

[4]- نفسه، ص. 12.

[5]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص ص، 104-105.

بن محمد صاحب العباسية، وشاعره مروان بن أبي حفصة، ومغنيه إبراهيم الموصلي واحد عصره في صناعته، ومضحكه ابن أبي مريم، وزامره برصوما، وزوجته أم جعفر –يعني زبيدة- وكانت أرغب الناس في خير وأسرعهم إلى كل بر ومعروف، أدخلت الماء الحرم بعد امتناعه من ذلك، إلى أشياء من المعروف أجزاها الله على يدها"[1].

ثانيا- الأوضاع الداخلية:

واجهت الخليفة الرشيد بعد إعتلائه عرش الخلافة عدة مشاكل، سوف نحاول إجمالها في عدة نقاط.

1- سياسته تجاه العلويين:

رأي الخليفة الرشيد بعد إعتلائه العرش ضرورة الرجوع عن سياسة أخيه الهادي تجاه العلويين، وضرورة الرفق بهم، فأمر في سنة 171هـ برفع الحجر عمن كان منهم في مدينة بغداد من الطالبيّين، وسيرهم إلى المدينة المنورة، ماعدى العباس بن الحسن بن عبد الله بن عليّ ابن أبى طالب[2].

لكن هذا الصفاء لم يدم مدة طويلة، لأنه سرعان ما خرج عليه يحي بن عبد الله بن الحسن بن الحسين في سنة 176هـ ببلاد الديلم، وادعى الامامة، وكان هذا الأخير نجى من وقعة فخ وهرب إلى بلاد الديلم، فأقلق هذا الأمر الخليفة الرشيد كثيراً فانتدب إليه الفضل بن يحي البرمكي بخمسين ألف جندي، رفقة أمهر القواد، وعينه على كل مدن المشرق وخراسان إن نجح في القظاء على يحي، فاستعمل الفضل أساليب السياسة للقضاء عليه، حيث أغرى أول الأمر صاحب الديلم الذي كان متعاطفاً مع يحي بالمال وأعطاه ألف ألف درهم، فتراجع عن مساندة يحي، ولما رأى هذا الأخير ذلك التغير قبل العرض الذي إقترحه عليه الفضل البرمكي، وقرر الإستسلام إلى جيش الخليفة الرشيد بعد أن أعطاه قائده العهد بعدم التعرض له وبعد أن وصله أماناً من طرف الخليفة الرشيد، يشهد عليه الفقهاء والقضاة وكثير من بنى هاشم، فأخذ يحي إلى الرشيد ووضعه بالسجن وأوكل أمره للفضل البرمكي[3].

وقد أكرم الخليفة الرشيد الفضل البرمكي على هذا الإنجاز الكبير، حتى قال فيه مروان بن أبى حفصة شعراً:

ظَفِرتَ فلا شَلَّتْ يدٌ بَرْمَكيّـــــــةٌ رَتَقْتَ بها الفَتْقَ الذى بين عاشِـمِ

على حين أَعْيَا الراتقينَ التِئامُـــــهُ فكَفُّوا وقَالُوا لَيسَ بالمتلائـــــــم

فأَصْبَحْتَ قد فازَتْ يداك بخُطَّـــةٍ من المجدِ باقٍ ذكرها في الْمَوَاسِم

---

[1]- ابن كثير: البداية والنهاية، ج.10، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 1411هـ/1990م، ص.217.

[2]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص. 236.

[3]- نفسه، ج.8، ص ص، 242-243.

وما زالَ قِدْحُ المُلكِ يَخْرُجُ فائزاً لكمْ ملَّما ضُمَّتْ قِداحُ المُساهِـــمِ[1].

ولكن هذا الأخير أطلقه بعد مدة وأخفى ذلك على الخليفة، وذهب يحي إلى الحجاز ولما علم الرشيد بالأمر أصدر أمره بالقبض عليه والإتيان به إلى بغداد، فسجنه في سرداب حتى مات به[2].

أما القضية الأخرى التي أقلقت الرشيد هي قضية الامام موسى الكاظم، وخلاصتها أن الرشيد كان يراقب العلويين في الحجاز، فعلم بأن الناس يحملون خمس أموالهم إلى موسى بن جعفر الصادق، ومعنى ذلك أنهم يعتقدون بإمامته، فاضطرب الرشيد ولما حج لاحظ كثرة احتفاء الناس بموسى، فقبض عليه وسجنه ببغداد، إلى أن مات سنة 183هـ، و هناك من قال بأنه قتل[3].

2- إخماد الفتنة في بلاد الشام والقضاء على الخوارج:

أ- الفتنة ببلاد الشام:

لم تخمد العصبية القبلية في الشام بعد سقوط الأمويين، وكان في وجوده فائدة للعباسيين، ولكنهم في نفس الوقت لم يرتاحوا إليها تماماً لأنها كانت تخل بسلطة الدولة، وتهدد الأمن والمواصلات[4].

ثارت العصبية القبلية في الشام مجددا بين المضرية واليمنية، واشتد لهبها في سنة 176هـ، فأرسل الرشيد موسى بن يحي بن خالد لإخمادها، فتمكن من ذلك بسرعة، وأصلح بين أهلها[5]، ولكن الاضطراب تجدد في سنة 180هـ، فأرسل هذه المرة جعفر البرمكي ليهدئ الوضع، فإستعمل سياسة الترغيب والترهيب حيث قتل منهم خلق كثير كان يقوم بالنهب والسرقة، وأعاد الأمن إلى بلاد الشام[6].

ب- الخوارج:

لم تقم للخوارج قائمة في بلاد المشرق منذ سقوط الأمويين، ولعل الضربات الشديدة التي تلقوها من الخليفة الأموي مروان الثاني ومن أبي مسلم الخراساني أضعفتهم، ولم يستجمعوا قوتهم حتى عصر الخليفة الرشيد[7]. ففي سنة 178هـ خرج على الرشيد بمنطقة الجزيرة الوليد بن طريف الشاري، وجعل مركزه بمدينة نصيبين، واستطاع القضاء على عامل الخلافة هناك، وهزم عدة جيوش وتوسع سلطانه إلى أرمينية واذربيجان، وصار يهدد منطقة

---

[1]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص. 243.

[2]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 111.

[3]- نفسه، ص ص، 111-112.

[4]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 113.

[5]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص 251.

[6]- نفسه، ج.8، ص. 262.

[7]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 112.

السواد، فأرسل الخليفة الرشيد القائد يزيد بن مزيد الشيباني للقضاء على هذه الحركة، فاتبع معهم سياسة المخاتلة والتأني لينهكهم، ودارت بين الطرفين معارك كثيرة، قتل على إثرها زعيم الخوارج الوليد الشاري سنة 179هـ، وتولت القيادة بدله أخته ليلي، ولكنها لم تصمد طويلا إذ استطاع القائد العباسي يزيد أن يقنعها على ترك السلاح والخلود إلى السلم[1].

ج- الإضطربات بالمشرق:

من بين المشاكل التي واجهت الخليفة الرشيد هي خروج الخزر في سنة 183هـ وهجومهم على أرمينية، وقتلوا عدد من المسلمين وأهل الذمة وسبوا أكثر من مائة ألف، وضلوا يعيثون فساداً مدة 70 يوماً، وكان ذلك أمراً كبيراً لم يسمع مثله في تاريخ المسلمين، فعين الرشيد يزيد بم مزيد على أرمينية وأذربيجان، وأمده بالجند، وبعث خزيمة بن خازم إلى نصيبين ليوقف أهل أرمينية، وتمكن خزيمة من القضاء على الخزر، وأرجع الأمن إلى تلك المناطق[2].

ثالثاً: النظم الإدارية:

1- مؤسسة الخلافة: رجع نفوذ الحريم إلى قوته في خلافة الرشيد، فقد كانت آمه الخيزران تتدخل في تسيير شؤون الدولة وكان لها صوت مسموع، حيث أن الرشيد لم يكن يستطيع مخالفة رغباتها، في المقابل كانت زوجته زبيدة هي الأخرى تتدخل في السياسة بعد وفاة الخيزران[3].

لم يكن الرشيد يتشدد في محاسبة عماله إن لم يظهر منهم ما يدل على العصيان، فتجاوزات علي بن عيسى ابن ماهان مشهورة، وهذا الفضل بن يحي البرمكي أثناء ولايته على خراسان يهب عامله على سجستان خراج منطقته(4 ملايين و5 ألف درهم)، وربما يعود قلة المحاسبة نتيجة إهمال شؤون البريد في خلافة الرشيد[4].

2- الوزارة ونكبة البرامكة:

ظلت فكرة الثأر لمقتل أبي مسلم الخرساني، وتحقيق تطلعاته السياسية، كامنة في نفوس أتباعه الخراسانيين، وأخذت هذه الفكرة منهجاً جديداً، مع مرور الزمن، يقضي بالسيطرة على دولة الخلافة العباسية من الداخل، بعد فشل محاولات النيل منها من الخارج. وقد قام عدد من الوزراء العباسيين من أسر فارسية بتحقيق ذلك كان من أشهرها أسرة البرامكة وأسرة آل سهل والأسرة الطاهرية[5].

---

[1]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص ص، 256-262.

[2]- نفسه، ج.8، ص. 270.

[3]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 137.

[4]- نفسه، ص. 137.

[5]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص ص، 96-97.

يعد أصل أسرة البرامكة من بين المواضيع التي حيكت حولها الروايات ذات الطابع الأسطوري، فقد ذكر أن هذه الأسرة كانت من بيوتات بلخ، وكان جدهم الأكبر برمك من مجوس بلخ(في أفغانستان اليوم)، وكان يخدم معبد النوبهار[1]، حيث اشترك برمك وبنوه بسدانته، وكان برمك عظيم المقدار منهم[2].

وبرز من هذه الأسرة في بداية تأسيس الخلافة العباسية، خالد بن برمك من خلال مقدرته الإدارية والمالية، ورجاحة عقله، حيث مدحه المؤرخ المسعودي قائلا:"لم يبلغ مبلغ بن برمك أحد من ولده في جودة رأيه وبأسه وجميع خلاله، لا يحي في رأيه ووفور عقله ولا الفضل في جوده وبراعته ولا جعفر بين يحي في كتابته وفصاحته، ولا محمد بن يحي في سروره وبعد همته، ولا موسى بن يحي في شجاعته وبأسه"[3]، وقد إتصل أول الأمر بالإمام محمد بن علي ثم بإبراهيم الإمام من بعده، وكان من رجالات الدعوة البارزين[4]، ويبدو أنه كان ادارياً قديراً حيث بعد تأسيس الخلافة العباسية قلده أول خلافائها السفاح الوزارة[5]، ثم عينه على ديوان الخراج[6]، كما تولى وزارة التنفيذ بعد مصرع أبي سلمة الخلاّل، وعمل مستشاراً للمنصور ومشرفاً على شؤون المالية وعين على ديوان الخراج، كما عين على عدة ولايات كفارس والري وطبرستان ودنباوند، ولمع اسمه في بناء مدينة بغداد[7].

وهو بحكم منصبه، اشترك في صنع القرارات السياسية، وظلت له مكانته في عهد المهدي الذي ولاه مقاطعة فارس في عام 163هـ/780م، ثم غضب عليه الخليفة فشفعت له الخيزران فرد إلى منصبه، وهذه هي البادرة الأولى للتعاون بين البرامكة والخيزران، وفي سنة 161هـ/777م عهد إليه الخليفة المهدي بتربية ابنه هارون، ولما غزى هذا الأخير الصائفة في سنة 163هـ/779م أوكل إليه المهدي تدبير أمر عسكره، فأنجز المهمة خير الإنجاز، وظل في مكانته إلى أن توفي في سنة 165هـ/781م[8].

---

[1]- تفسير النوبهار هو: البهار معناها الجديد، لأن نو الجديد وكانت سنّتهم إذا بنوا بناءً حسناً أو عقدوا باباً جديداً أو طاقاً شريفاً كلّلوه بالريحان وتوخّوا لذلك أول ريحان يطلع في ذلك الوقت، فلمّا بنوا ذلك البيت جعلوا عليه أول ما يظهر من الريحان وكان البهار فسمي نوبهار. وكانت الفرس تعظّمه وتحجُّ إليه وتهدي له وتلبسه أنواع الثياب وتنصب على أعلى قُبّته الأعلام، ويسنون القبة الأوستن، وكان حول البيت ثلثمائة وستون مقصورة، يسكنها خدّامه وقوامه وسَدَنته.(ينظر، هولو جَورت فرج: البرامكة سلبيّاتهم وايجابياتهم، دار الفِكر اللبناني، بيروت-لبنان، 1990م، ص. 10.)

[2]- أبي بكر بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق، إحسان عباس، ج.6، دار صادر، بيروت-لبنان، 1397هـ/1977م، ص. 219.

[3]- المسعودي: مروج الذهب، المصدر السابق، ج.3، ص. 266.

[4]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 122.

[5]- ابن خليكان، المصدر السابق، ج.6، ص ص، 219-220.

[6]- الطبري، المصدر السابق، ج.7، ص. 460.

[7]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 122.

[8]- ابن خليكان، وفيات الأعيان، المصدر السابق، ج.6، ص. 121؛ عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 122-123.

أنجب خالد البرمكي رجلاً يُعتبر واسطة عقد الأسرة البرمكية هو يحي، كان من أنبل وأعقل بني برمك[1]، عينه الخليفة السفاح على ديوان الخراج[2]، وقد ارتبط تاريخه بتاريخ هارون الرشيد، حيث تولى الكتابة له، والنيابة عنه ووزارته، وقد أدَّى دوراً بارزاً في تأمين ولاية العهد له في مواجهة الضغوط الكبيرة التي مارسها الخليفة المهدي بهدف تنحيته وتولية ابنه الصغير جعفر بدلا منه[3].

ولما بويع الرشيد بالخلافة حفظ له ذلك الفضل، فقلّده وزارة التفويض، ومنحه سلطات مطلقة، حيث قال له:" قد قلدتك أمر الرعية وأخرجته من عنقي اليك، فاحكم في ذلك بما ترى من الصواب، واستعمل من رأيت، واعزل من رأيت، وأمض الأمور على ما ترى، ودفع إليه خاتمه، فقال فيه إبراهيم الموصليّ:

ألم تر أن الشمس كانت سقيمة فلما ولى هارون أشرق نورها

بيمن أمين الله هارون ذى النَّدى فهارون واليها ويحي وزيرها"[4].

وكان الخليفة الرشيد يعظمه، وأذا ذكره قال "أبي"، وجعل مرتبته عظيمة في دولته حيث جعل له إصدار الأوامر وإيرادها[5].

وكان يحي كاتباً بليغاً أديباً سديد الرأي حسن التدبير، وقد استطاع بمساعدة ولديه الفضل وهو الأكبر، وجعفر، من ادارة أراضي الخلافة العباسية لمدة سبع عشرة سنة بين 170-187هـ/786-803م[6]. ويعتبر الفضل بن يحي البرمكي أخو الرشيد بالرضاعة، ويظهر بأنه كان أكثر من أخيه أهمية في الإدارة الفعلية، وقد ولي الفضل ولايات هامة وانتدب لمهمات جسيمة[7]، فقد ولاه هارون الرشيد كور الجبال وطبرستان ودنْباوند وقُومس وأرمينية وأذربيجان. كما أسند إليه مهمة القضاء على تمرد يحي بن عبد الله بن حسن بن حسن ين عليّ بن أبي طالب في أرض الديلم، في سنة 176هـ وقد نجح في المهمة[8].

وفي سنة 176هـ عينه على ولاية مصر[9]. وفي سنة 177هـ، عزله على ولاية مصر وقلده ولاية خراسان

---

[1]- ابن خليكان، وفيات الأعيان، المصدر السابق، ج.6، ص. 121.

[2]- الطبري، المصدر السابق، ج.7، ص. 466.

[3]- المسعودي، ج.3، المصدر السابق، ص. 241؛ محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص. 97.

[4]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص. 233.

[5]- ابن خليكان، المصدر السابق، ج.6، ص. 221.

[6]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص ص، 123-124.

[7]- نفسه، ص. 124.

[8]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص ص، 242-243.

[9]- نفسه، ج.8، ص. 252.

ومايليها من أعمال من الرّيّ وسجستان[1]. فشخص إليها في سنة 178هـ فأحسن السيرة فيها فبنى المساجد والرِّباطات، كما أسس هناك جيش جديد سماه العباسيّة بلغ عدده إلى خمسمائة ألف جندي جعل ولاءهم للخلافة العباسية، وقد بعث حوالى عشرون ألف جندي إلى بغداد، فسمُّوا الكرنبيَّة، وغزا عدة مرات ما وراء النهر لتأديب ملك أشروسنة[2]. وفي سنة 179هـ عزله الرشيد عن خراسان وعينه في منصب الحجبة[3]. ويبدو أنه عزله عن هذا المنصب وعينه على ولاية طبرستان والرويان والري[4].

وقد عهد إليه الرشيد بتربية إبنه الأمين، وقد لعب دوراً كبيراً في إعطاء البيعة للأمين[5]. وهكذا تتضح أهمية الدور الذي لعبه الفضل في الدولة، وأنه اقتصر على الأشغال الرسمية ولم يلعبدوراً مهماً في حياة البلاط لطبيعته الجدّية، وكان الفضل أكبر رتبة وأحظى عند الرشيد من جعفر[6]

أما جعفر بن يحي البرمكي فقد كان شاباً، مترفاً اشتهر بفصاحته وبيانه[7]، وقد إعتلى مكانة مرموقة في دولة الرشيد، حيث عينة في سنة 180هـ على ولاية خراسان وسجستان، ولكنه لم يدم فيها إلى مدة 20 يوما فقط، حيث عزله عنها وعينه قائداً لحرس الخلافة[8]، وكان مشهوراً بالتأنق بلباسه ومسكنه، وهو أول من أدخل لبس الأطواق(الياخة) لطول رقبته، والظاهر أن جعفر اختص بمنادمة الرشيد وخدمته لسهولة أخلاقه، وكان يلازمه دائما، ويصعب معرفة مدى مشاركة جعفر في تسيير سياسة الدولة، وربما كان دوره السياسي ضعيفاً بالنسبة لدور أخيه وأبيه، مع ذلك كان واسع النفوذ لأنه كان أكثر البرامكة اتصالا بالرشيد صديقاً ونديماً، وقد عهد إليه الخليفة بتربية ابنه المأمون وتدريبه، وهو من جعل له البيعة من بعد أخيه الأمين[9].

وبرز من أسرة البرامكة، محمد بن خالد بن برمك الذي تولى حجابة الرشيد، وموسى بن يحي بن خالد الذي ولى الشام[10].

من هنا نقول أن الرشيد أعطى أسرة البرامكة سلطات واسعة، وأفسح لهم المجال في الأمور فكان لهم أثر مهم في تسيير دفة الدولة وخاصة في حياة الخيزران، ولكن يجب أن لا يستنتج من ذلك أن الرشيد كان عاملا لا

---

[1]- الطبري، المصدر السابق،ج.8، ص. 255.

[2]- نفسه، ج.8، ص. 258.

[3]- نفسه، ج.8، ص. 261.

[4]- نفسه، ج.8، ص. 266.

[5]- نفسه، ج.8، ص ص، 240-241.

[6]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 123.

[7]- نفسه، ص. 125.

[8]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص. 266.

[9]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 125- 126.

[10]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص. 98.

يعتد به أو أن البرامكة كانوا أحراراً في جميع تصرفاتهم وغير خاضعين لرقبة الرشيد، فهناك أمور تدل على أن الخليفة كان يراقبهم وأنهم لم يكونوا دائماً مسيطرين على كل شيء[1].

تميز الوجود السياسي للبرامكة بثلاث مميزات هي:

أولا: لقد عَمَّرت هذه الأسرة طويلا بالمقارنة مع الوجود السياسي لمن سبقهم أو عاصرهم، مثل أبو مسلم الخراساني.

ثانياً: التطور السياسي لهذه الأسرة الذي يبدو أنه مدروس ومخطط له، فهو يبدأ بدور عادي في الحركة العباسية، ويتطور إلى تولي بعض المناصب في الدولة، ثم تتغلغل الأسرة في صميم البيت العباسي بمعنى أن هذا التطور بدأ تصاعدياً من مجرد أداة منفذة إلى التدخل في رسم سياسة الدولة.

ثالثاً: الاستمرارية في العلاقات الجيدة مع الخلفاء، باستثناء فترات قصيرة تعرضت فيها الأسرة لبعض المضايقات[2].

اختلف المؤرخون في تحديد أسباب نكبة البرامكة، ويبدو أن هذا الاختلاف ناتج عن تحديد الدور الذي أدّاه هؤلاء، حيث تعصب الرواة لهم أو عليهم، بالإضافة إلى تكتم الرشيد حول هذه الأسباب، والراجح أن هذه الأسباب تعود إلى دافعين رئيسيين، سياسي ومالي[3].

فمن حيث الدافع السياسي اتضح للرشيد بعد مضي بضع سنين على ظهورهم، أن البرامكة أضحوا يشكلون خطراً فعلياً على دولته، لأنهم أبرزوا ميلهم إلى الطالبيين بتعاطفهم مع يحي بن عبد الله العلوي، وأحمد بن عيسى بن زيد، وكذلك ميولهم العنصرية، ومن حيث الدافع المالي، فقد استبدوا بأموال الدولة، حتى قيل إن الرشيد يحتاج إلى اليسير من المال فلا يقدر عليه، في الوقت الذي كان البرامكة يسرفون في النفقات[4].

ومهما يكن من أمر، فقد نكل الرشيد بالبرامكة في سنة 187هـ/803م، حيث قتل جعفر بن يحي البرمكي في الليلة الأولى من شهر صفر عام 187هـ/803م، وسجن والده يحي وبقية أبنائه، وصادر ممتلكاتهم وأموالهم[5]. وتوفي يحي في السجن في عام 190هـ/805م، وتبعه الفضل في عام 193هـ/808م[6]، هكذا كانت نهاية البرامكة،

---

[1]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 127.

[2]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص. 99.

[3]- نفسه، ص. 99.

[4]- نفسه، ص ص، 99-100.

[5]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص ص، 294- 297.

[6]- نفسه، ج.8، ص. 341.

وهي مثال لتضارب سلطة الوزارة مع سلطة الخلافة[1].

3- القضاء:

اهتم الخليفة بنشر العدل بين الرعية، وأقام رجال العدالة في جميع الأمصار لكتابة العقود على ضوابط الشرع، وجعل لهم دكاكين ومصاطب خاصة في المحلات العامة ليسهل وصول الناس إليهم، وكانت كل قضية لغير المسلمين توكل إلى رؤساء ديانتهم، كما استحدث الرشيد منصب قاضي القضاة، اهتم الخليفة بحفظ الأمن في العاصمة بدس شبكة من العيون بإمرة صاحب الشرطة لمنع الاضطراب، وأقام الحراس بالليل للمحافظة على الدروب، وفي سنة 192هـ خفف الخليفة ضريبة الخراج في السواد، وأمر بإجراء القمح على أهل الحرمين وجلبه من مصر، وأكرم المهاجرين والأنصار، ارتفع في عهد الرشيد شأن وجوه أهل الأمصار وأهل الدين والأدب، وسعى إلى نشر العلم فأنشأ الكتاتيب لليتامى[2].

رابعاً- سياسته الخارجية:

أ- علاقة الرشيد بالبزنطيين:

لقد أولى الخليفة الرشيد الصراع مع الإمبراطورية البيزنطية أهمية كبرى، لا لفائدتها المادية كما يزعم المستشرقون لأن الخسائر في النفوس كانت تتجاوز كل النفع، بل للعظمة التي تلقيها على حكمه ولأنها تظهر للأعداء مدى سطوة الاسلام وعناية خليفته بحرب الأعداء، ويلاحظ على الحروب في عهد الرشيد عدم سيرها وفق خطة رشيدة، بل كانت غزوات انتهت دون أن تغير موقف الطرفين، وكل خليفة يكتفى بأخذ الجزية، وقد أثبتت تفوق المسلمين دائما[3].

ينقل لنا الواقدي ما ذكره معاوية بن عمرو عن إجتهاد الخليفة هارون الرشيد في حربه ضد الإمبراطورية البيزنطية قائلا:"وقد رأينا من اجتهاد أمير المؤمنين هارون في الغزو ونفاذ بصيرته في الجهاد أمراً عظيماً، أقام من الصناعة مالم يقم قبله، وقسم الاموال في الثغور والسواحل وأشجى الروم وقمعهم"[4].

لقد اهتم الرشيد أول الأمر بتنظيم وتحصين حدوده المتاخمة للبيزنطيين ففي سنة 170هـ فصل الثغور الشامية عن الجزيرة، وسماها العواصم وجعلها منطقة عسكرية خاصة عاصمتها منبج، كما أوكل إلى أبى سُليم

---

[1]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص. 100-101.

[2]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 137.

[3]- نفسه، ص. 113.

[4]- أحمد بن يحي بن جابر البغدادي الشهير بالبلاذرى: فتوح البلدان، مطبعة الموسوعات، شركة طبع الكتب العربية، القاهرة، مصر، 1319هـ/1901م، ص. 170.

فرج الخادم التركيّ بأن يعمر مدينة طرسوس[1]. والمراد من عمل الخليفة هذا هو خلق وحدة عسكرية قوية من حدود سورية الشمالية.

كما أنشأ الخليفة ديواناً جديداً سماه "ديوان العرض" ألحقه بديوان الحرب، تتلخص مهامه في استعراض الجنود، ومعرفة كفاءاتهم، من قبل مشرفين متخصِّصين، وألَّف بعضهم كرَّاسات في الهندسة الحربيَّة، كالتَّعبئة، وطرق الاستيلاء على الحصون، وتشييد القلاع، والفروسية، والحصار[2].

وقد كانت المناوشات والحروب بين الطرفين تحدث في كل سنة، ففي سنة 174هـ/790م، أسر الروم بعض الجند المسلمين الذين أبحروا من مصر إلى سوريا، فتحرك أسطول عربي من مصر إلى جزيرة قبرص ومنها إلى آسيا الصغرى، والتقى بالأسطول البيزنطي في خليج أتاليا(Attalia)، فإنتصر الأسطور الإسلامي وتم اسر أمير البحر البيزنطي[3].

وفي سنة 181هـ/797م غزا الخليفة هارون الرشيد أرض بزنطا بنفسه، واستولى على حصن الصّفصاف، وفي نفس الوقت إستولى قائده عبد الملك بن صالح على مدينة أنقرة وافتتح مدينة مطْمورة[4]، وفي هذه الأثناء سار إليه قسطنطين السادس(ابن ايريني) ليصده، ولكن أحد القواد البيزنطيين خاف أن يقوى مركز الإمبراطور قسطنطين إن إنتصر على الخليفة هارون، فأشاع بأن المسلمين تراجعوا، فعاد قسطنطين أدراجه إلى العاصمة، فجرت له هناك فتنة حيث خلع عن العرش وسملت عيناه، واعتلت أمه ايريني العرش، وفي نفس الوقت فتح كان الخليفة الرشيد قد فتح حصن الصفصاف وواصل زحفه إلى بحر البوسفور[5].

وقد طلبت الإمبراطورة إيرين الصلح من الخليفة، وعقدت هدنة بين الطرفين مدتها ثلاث سنوات، تعهدت على إثرها دفع جزية سنوية قدرها تسعون ألف قطعة، وأن تمد الجيش العباسي بالأدلاء وأن تيسر لهم المؤن في الطريق[6].

استمرت الهدنة بين الطرفين إلى سنة 187هـ/802م حيث قام الإمبراطور البيزنطي نقفور بعزل ايرين عن العرش وأعتلى هو العرش، فقام هذا الأخير بنقض المعاهدة، حيث قام بشبه غارات على عين زربة والكنيسة السوداء، فأسروا كل من تمكنوا من اسره وعادوا، كما ورفض ناقفور دفع الجزية التي تعهدت بدفعها إيرين من

---

[1]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص. 235.

[2]- شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص. 131.

[3]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 114.

[4]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص. 268.

[5]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص.114.

[6]- أمينة بيطار، المرجع السابق، ص. 195-196.

قبل، وطالب بإعادة كل ما دفعته الإمبراطورة بحجة أنها لم تفعل ذلك إلا لضعف النساء[1].

وكتب نقفور رسالة إلى الرشيد جاء فيها:"من نقفور ملك الروم، إلى هارون ملك العرب، أما بعد، فإن الملكة التي كانت قبلي، أقامتك مقام ارّخ، وأقامت نفسها مقام البَيْدق، فحملتْ إليك من أموالها ما كنت حقيقًا بحمل أمثالها إليها، لكن ذاك ضعف النساء وحمقهنّ، غإذا قرأت كتابي فارُدْد ما حصل قِبَلك من أموالها، وافتدِ نفسك بما يقع به المصادرة لك، وإلا فالسيف بيننا وبينك"[2]، فلما قرأ الخليفة الرسالة رد عليه بأخرى جاء فيها:"بسم الله الرحمن الرحيم، من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يابن الكافرة، والجواب ما تراه دون أن تسمعه، والسلام"[3]. ثم قاد حملة عسكرية بنفسه توغل على إثرها في منطقة هرقلة، وفتح وغنم وهزم الجنود، ولما عجز ناقفور عن صد الهجوم طلب الصلح والمهادنة، على خراج يدفعه للخليفة الرشيد في كلّ سنة فقبل[4].

وقد وافقد نقفور على دفع جزية سنوية مقدارها ثلاثمائة ألف دينار مقابل وقف القتال، واضاف عن نفسه وولده وبطارقته جزية مقدارها خمسون ألف دينار، في المقابل ضمن له الرشيد بأن لا يخرب حصن ذا الكلاع وصملة وحصن سنان، بشرط أن لا يرممها ولا يعمرها بالجند[5]. وبذلك اعطى الخليفة درسا لنقفور لن ينساه أبدا.

الا أن نقفور مالبث ان نقض العهد، وخان الميثاق في سنة 190هـ/806م، مطمئنا إلى أن الرشيد لن يعود اليه بسبب البرد، فخاب ظنه حين وجده قد دخل الاراضي البيزنطية وهو اصلب وأشد قوة من المرة السابقة، ولم يتركها حتى بلغ ما أراد،حيث أعاد فتح طرسوس وخرب عين زربة، وإستولى على هرقلة والطوانة وأمر بأن يبنى بها مسجد، وافتتح قواده حصن الصقالبة ودبسة وحصن الصفصاف وملقوبية وسنان وصملة وحصن ذي الكلاع، ورضخ نقفور مرة أخرة لأمر الواقع، وأرغم على التقهقر والتراجع[6].

لم تقتصر حروب الرشيد مع البيزنطيين في آسيا الصغرى فقط، بل تعدتها إلى البحر الأبيض المتوسط، في محاولات لاستعادة مركز المسلمين في الجزر القريبة من جهة، ولمساندة الحملات البري، من جهة أخرى، فهاجمت البحرية الإسلامية، البحرية البيزنطية، كما هاجمت جزيرة قبرص في عام 190هـ/806م، بعد أن نقض أهالي الجزيرة معاهدة الحياد التي أبرمت في عام 79هـ لتنظيم العلاقات مع كل من المسلمين والبيزنطيين، كما

---

[1]- أمينة بيطار، المرجع السابق، ص. 196؛ عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 114.

[2]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص ص، 307-308.

[3]- نفسه، ج.8، ص. 308.

[4]- نفسه، ج.8، ص. 308.

[5] أمينة بيطار، المرجع السابق، ص. 197.

[6]- نفسه، ص. 198؛ عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 115.

غزا المسلمون جزيرة كريت[1].

يُعتبر عصر هارون الرشيد تجسيداً لحالة القوة التي كانت عليها الخلافة العباسية، حتى أضحت مرهوبة الجانب، ويبدو أن هذا الخليفة أدرك أن إزالة الإمبراطورية البيزنطية عن الوجود أمر يخرج عن حدود إمكانياته، لذا اكتفي بإشغال البيزنطيين بأنفسهم وحرمانهم من العمل العسكري ضد المسلمين، مما دفع نقفور بجعل يوم وفاة الرشيد في 3 جمادى الثانية 193هـ/ 24 آذار 809م[2].

ب- العلاقة مع الفرنجة.

كان العالم الإسلامي في عهد الرشيد يشهد وجود قوتين إسلاميتين هما الخلافة العباسية في بغداد والدولة الأموية في الأندلس، في حين انقسم العالم المسيحي بدوره إلى قوتين هما الإمبراطورية البيزنطية في الشرق ودولة الفرنجة الكارولنجية بقيادة شارلمان في الغرب، وقد استند بعض المؤرخين إلى الخصومات الموجودة بينهم كمبرر للتقارب بين الخلافة العباسية والفرنجة ضد كل من البيزنطيين والأمويين[3].

وأسهب المؤرخون الغربيون في كلام عن وجود علاقات وطيدة بين هارون الرشيد وشارلمان، ذلك لحاجة الأول للثاني في الإطاحة بالأمويين في الأندلس بحكم أنهم خصوم لكل من الرشيد وشارلمان، وحاجة هذا الأخير للأول في إشغال عدوه الديني –البيزنطيين- بالحروب، لكي لا يقلقوه في تحقيق مشروعه الرامي لاسترجاع الأندلس. فكل احد كان في حاجة للأخر[4].

واستنادا إلى هذه المصادر فقد بدأت العلاقات بين العاهلين في سنة 181هـ/797م. حين أرسل شارلمان وفدين إلى الشرق، الأول إلى الخليفة والثاني إلى بطريرك القدس، تكونت البعثة الأولى من 3 أفراد اثنان من الفرنجة والثالث يهودي، لكن هذه المصادر تخلو من ذكر مكان التقائهم بممثلي الخليفة:- ويبدو أنهم بحثوا مع الخليفة سبل تقوية التعاون بين الدولتين.- وطلبوا من الرشيد منح تسهيلات للحجاج الكاثوليك إلى الأماكن المقدسة، وحمايتهم من الأرثوذكس.- كما حاولوا الحصول على فيل من عند الخليفة، استغرقت رحلة البعثة 3 سنوات، توفي على إثرها الإفرنجيان وعاد إسحاق اليهودي وحده مع فيل وساعة هدية من الرشيد لشارلمان[5].

وفي سنة 183هـ/799م، أرسل الرشيد بعثة إلى البلاط الإفرنجي، تتكون من رجلين أحدهما فارسي يمثل الخليفة والأخر مغربي يمثل إبراهيم بن الأغلب، وقد وصلت إلى أخن عاصمة الكارولنجيين في الوقت نفسه الذي

---

[1]- محمّد سهيل طقّوش: تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، بيروت- لبنان، 1430هـ/2009م، ص.105.

[2]- نفسه، ص. 105.

[3]- نفسه، ص. 105.

[4]- نفسه، ص. 105.

[5]- نفسه، ص. 106.

وصل فيه إسحاق. وفي سنة 186هـ/702م أرسل شارلمان سفارة ثانية، ورّد عليه الرشيد بسفارة أخرى في سنة 192هـ/807م، وحدث أثناء وجود السفارات الغربية في الشرق تقارب بين بطريرك القدس وشارلمان، وتم تبادل السفارات والهدايا بينهما، حيث أرسل البطريرك إلى شارلمان مفاتيح كنيسة القيامة ومفاتيح مدينة القدس وراية[1].

يقول بعض المؤرخون أن دوافع تلك السفارات هي محاولة عقد حلف بين الدولتين، يهدف إلى وقوف الرشيد ضد الدولة البيزنطية، ووقوف شارلمان ضد الدولة الأموية في الأندلس، وذلك لعداء كل من العباسيين للأمويين والفرنجة للبيزنطيين، لكن الحقائق التاريخية تنفي أي احتمال لقيام مثل هذا التحالف السياسي بدليل:

1- ورود تلك السفارات في الكتب الغربية(اللاتينية) فقط في المقابل لم نجد لها ذكر في المصادر المشرقية إسلامية كانت أم صليبية، بحيث يكتنفها الغموض والاضطراب مما يقلل من مصدقيتها، ولعل أبرز المؤرخين الذين عالجوا هذه العلاقة هم: إينهارد مؤرخ شارلمان والراهب سانت جول[2].

2- لم يكن الخليفة الرشيد بحاجة إلى مساندة الغرب في صراعه ضد البيزنطيين لأنه كان المنتصر، وذهب بعيداً في تأكيد انتصاره حيث فرض الجزية عليهم، لذلك لم تكن العلاقات العباسية البيزنطية بحاجة إلى مسوغ لاتصال العباسيين بالفرنجة من أجل عدائهما المشترك لبيزنطة[3].

3- لا يوجد أي دليل على أن مسيحي الشرق كانوا يشكلون خطرا على سلامة الدولة العباسية، أو أن أوضاعهم كانت سيئة في ظل الحكم العباسي، فقد تعاملوا معهم كأنهم رعايا دولة وفق أحكام الشريعة الإسلامية.[4].

4- لا يمكن للرشيد أن يتنازل عن حقوقه السياسية في الأماكن المقدسة في بيت المقدس ليتولاها الملك الفرنجي، كما لم يكن وضع النصارى في فلسطين يستدعي من البطريرك أن يطلب حماية من شارلمان[5].

5- تعد نظرية حماية شارلمان للأماكن المقدسة أسطورة أخترعها المؤرخ الراهب سانت جول الذي كتب حوالي 50 عام بعد وفاة شارلمان، إذ جمع معلومات عن السفارات والهدايا المتبادلة ليكون قصة مضمونها أن الرشيد تنازل لشارلمان عن السيادة في فلسطين، وأرسل إليه وارداتها، في محاولة لإعادة بسط سيطرة النصارى على الأماكن المقدسة[6].

6- إن تقديم مفاتيح كنيسة القيامة والقدس بالإضافة إلى الراية من قبل بطريرك بيت المقدس لشارلمان، لا يمكن أن

---

[1]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص ص. 106-107.

[2]- نفسه، ص. 106.

[3]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 118.

[4]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص. 109.

[5]- نفسه، ص. 109.

[6]- نفسه، ص. 110.

يعطي معنى سياسي، ومن جهة أخرى أن بطريرك بيت المقدس لا يستطيع القيام بخطوة خطيرة ذات أبعاد سياسية دون الحصول على موافقة الخليفة الذي تخضع بيت المقدس لسلطته[1].

7- لا يوجد ما يدعو إلى قيام عوامل ثقة بين الدولتين، ومن المستبعد أن يتفق الرشيد مع شارلمان على ضرب المسلمين في الأندلس، خاصة أنه لم يعد يفكر جديا في استعادة هذه البلاد في وقت الذي اضطر فيه للتخلي عن إفريقية[2].

لا شك انه كانت هناك نوع من العلاقات التجارية والسياسية بين الدولتين كانت بعيدة كل البعد عن التحالف السياسي، ولا شك ان التجار اليهود هم الذين كانوا وراءها، لأنهم كانوا حلقة وصل بين الشرق والغرب، يتاجرون بين أوربا والأقطار الإسلامية والصين[3].

خامساً: ولاية العهد ووفاته.

أقلقت قضية ولاية العهد كثيراً الخليفة الرشيد، وخاصة أنه وصل إلى مسامعه أن جماعة من بنى العباس قد طمعوا في الخلافة بعد وفاة الرشيد، لأنه لم يعين وليّ عهد، لذلك قرر في سنة 175هـ جعلها لإبنه محمد، وأخذ من المسلمين والقوّاد والجند، العهد في مدينة بغداد، وسماه الأمين، وكان يبلغ في ذلك الوقت خمس سنين فقط[4].

وفي سنة 182هـ أعطى البيعة بولاية العهد لإبنه عبد الله المأمون بعد ابنه محمد الأمين، وأخذ العهود من الجند بمدينة الرّقة، وأعطاه ولاية خراسان وما يليها إلى مدينة همذان، وسماه المأمون[5]. وجعله حاكما على المشرف من المنطقة الممتدة من همذان إلى أقصى المشرق، في حين أعطى الأمين بلاد الشام والعراق، ثم أضاف ولي عهد ثالث، حيث أعطى البيعة لإبنه القاسم وسماه المؤتمن، وولاه على حكم الجزيرة والثغور والعواصم، بهذا يكون قد جعل بذور الخلاف بين أبنائه الثلاثة، ومن أجل تفادي هذا الإنقسام حج الرشيد في سنة 186هـ رفقة أولاده وكتب لهم وثيقة وقع عليها ولاة العهد يعترف كل واحد منهم بما قسم لهم والدهم ثم أشهد عليهم القضاة وعامة الناس وعلقها بستار الكعبة لتبقى مقدسة[6].

توفي الرشيد في سنة 193هـ بطوس بمرض أصابه في معدته وهو في طريقة إلى خراسان لإخماد الإضطرابات بها[7]. وكان الرشيد قد أمر بحفر قبره قبل موته في الدار التي مرض فيها، وجعل ينظر إلى قبره وهو

---

[1]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 119.

[2]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص. 110.

[3]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 121.

[4]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص ص، 240-241.

[5]- نفسه، ج.8، ص. 269.

[6]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص ص، 275-277.

[7]- نفسه، ج.8، ص. 341.

يقول: يا ابن أدم تصير إلى هذا. ثم أمر أن يقرؤوا القرآن على قبره، فقرؤوه حتى ختم، وهو في ملحفة على شفير القبر، ولما حضرته الوفاة احتفى بملاءة، وجلس يقاسي سكرات الموت، فقال له بعض من حضر: لو اضطجعت لكان أهون عليك، فضحك ضحكا صحيحا ثم قال أما سمعت قول الشاعر:

وإني من قوم كرام يزيدهم شماسا وصبرا شدة الحدثان

ثم قال:" اللهم انفعنا بالإحسان، واغفر لنا الإساءة، يا من لا يموت، ارحم من يموت"[1].

المحاضرة السادسة

الخلافة في عهد الأمين والمأمون (193-218هـ/809-833م)

أولا-خلافة محمد الأمين(193-198هـ/809-814م):

1- التعرف بالأمين: هو محمد الأمين بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور، أبو عبد الله ويقال له أبو موسى الهاشمى العباسي، وأمه أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور، ولد بمدينة الرصافة في سنة 170هـ/ 786م، فهو أصغر من أخيه المأمون بسبعة أشهر، بويع له بولاية العهد في سنة 175هـ/791م وهو ابن خمس سنين، ثم بويع بالخلافة بعد وفاة والده الرشيد وهو في مدينة السلام لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة 193هـ، وقيل ليلة الأحد لخمس بقين من المحرم، وكان طويل القامة، سمين الجسم أبيض البشرة، صغير العينين، بعيد مابين المنكبين، اشتهر بحسن الأدب وكان فصيح اللسان عالما بالشعر، تأدب على الكسائي وقرأ عليه القرآن الكريم، لكن غلب عليه الهوى واللعب، اشتهر بحب أصحابه وعطفه عليهم[2].

2- النزاع بين الأمين والمأمون:

أ- ***أسباب النزاع:***

ترجع جذور النزاع بين الأخوين الأمين والمأمون إلى ثلاثة أسباب، هي: مشكلة ولاية العهد – الصراع العنصري العربي والفارسي – أطماع الحاشية.

- **مشكلة ولاية العهد:** تعتبر هذه المشكلة إحدى أقوى الأسباب بفعل الطموح إلى السلطان، والعوامل النفسية التي انتابت الأمين تجاه أخويه، فكان البادئ بنقض بنود العهد، واتخذ عدة خطوات كانت كفيلة بتفجير الوضع، منها:

- تعتبر شروط العهد التي وضعها الخليفة الرشيد لأبنائه صعبة التجسيد على أرض الواقع، حيث يذكر الطبري أنه:"ليس لمحمد بن أمير المؤمنين أن يحوّل عنه(المأمون) قائداً ولا مقوداً ولا رجلاً واحداً ممن ضُمّ إليه من

---

[1]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص ص، 345-346.

[2]- ابن كثير: البداية والنهاية، ج. 10، منشورات مكتبة المعارف، بيروت- لبنان، 1411هـ/1990م، ص ص، 241-241.

أصحابه الذين ضمّهم إليه أمير المؤمنين، ولا يحوّل عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولايته التي ولاّه إياها هارون أمير المؤمنين من ثُغور خراسان وأعمالها كلّها، ما بين عمل الرّي مما يلي همذان إلى أقصى خراسان وثغورها وبلادها، وما هو منسوب إليها، ولا يشخصه إليه، ولا يفرق أحداً من أصحابه وقوّاده عنه، ولا يولي عليها أحداً ولا يبعث عليه ولا على أحد من عماله وولاة أموره بنداراً ولا محاسباً ولا عاملاً، ولا يدخل عليه في صغير من أمره ولا كبير ضرراً، ولا يحول بينه وبين العمل في ذلك كله برأيه وتدبيره"[1].

حيث اقتصرت سلطة الخليفة الأمين على جنوب العراق والشام وشبه الجزيرة ومصر فقط، وقيدت علاقته مع أخوه المأمون حيث جعلته مستقلاً فعلياً بولايات المشرق، فكان ذلك بمثابة بذرة خلاف بذرها الرشيد بهذا البند[2].

وقد حاول الخليفة الأمين أول الأمر بسط نفوذه على ولايات أخويه ثم تقديم ابنه موسى عليهما في البيعة، ففي سنة 194هـ بدأ بأخيه الأصغر القاسم وعزله عن الولاية التي ولاه عليها والده الرشيد، الشام وقنسرين والعواصم والثغور[3]، تمهيدا لعزله من ولاية العهد. ثم دعى الناس بالدعء لإبنه موسى بالإمرة بعد الدعاء له وللمأمون والقاسم، ولما علم المأمون بالأمر فهم بأن الخليفة يريد تنحيتهما عن ولاية العهد[4].

نستخلص من ذلك، أن نية الغدر كانت موجودة لدى الخليفة الأمين، منذ اللحظة الأولى التي عين فيها والده الرشيد أخاه المأمون والياً للعهد من بعده، وهذه المشكلة هي التي فجّرت النزاع بين الأخوين، وقد كانا متسالمين أثناء حياة والدهما[5].

- **صراع الحزبين العربي والفارسي:** دعم الخزب العربي بقيادة بنو هاشم الأمين وقد اعترف الخليفة الرشيد بقوتهم، وكان الفضل بن سهل مربي المأمون يشعر كذلك بقوة هذه الكتلة، لذلك عندما قرر الرشيد ترك ولي العهد المأمون ببغداد لما عزم السير إلى خراسان للقضاء على تمرد رافع بن الليث، حذر المأمون من مغبة البقاء ببغداد وأشار عليه بظرورة الطلب من الرشيد أخذه معه، فقد جاء عند الطبري أن ذي الرياستسن قال للمأمون:"لست تدرى ما يحدث بالرشيد وهو خارج إلى خراسان، وهي ولايتك، ومحمّد المقدم عليك ! وأنّ أحسن ما يصنع بك أن يخلعك، وهو ابن زبيدة، وأخواله بنو هاشم، وزبيدة وأموالها، فا طلب إليه أن يشخصك معه، فسأله الإذن فأبي عليه"[6].

من جهة أخرى كان الفرس يؤيدون المأمون ويشكلون كتلة منافسة لجماعة الأمين، فالفضل بن سهل شجع

---

[1]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص. 279.

[2]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 141.

[3]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص. 374.

[4]- نفسه، ج.8، ص. 376.

[5]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص. 114.

[6]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص. 338.

المأمون وهو في خراسان على الثبات وسوف يضمن له الخلافة، وفي أواخر أيام الأمين ثار عليه أبناء خراسان ببغداد وبايعوا المأمون، وتسهلوا المهمة لقائد جيشه طاهر دخول بغداد، من هنا لعب الحزبين العربي بقيادة الفضل بن سهل ربيب البرامكة، والحزب العربي بقيادة الفضل بن الربيع خصم البرامكة اللدود وعدو النفوذ الفارسي، تطبيق بنود العهد أمراً عسيراً[1].

ج- أطماع الحاشية: وقفت حاشية الأمين، خاصة الفضل بن الربيع وعلي بن عيسى بن ماهان، وراءه بقوة ودفعاه إلى النكث بالعهد، في حين كانت الدلائل تشير إلى ميله للوفاء لأخويه رغم تصريحاته السابقة، ونصحه الفضل بن الربيع بأن يستدعي أخاه المأمون إلى بغداد، حتى يظفر به كرهينة، ويفصل بينه وبين جنده، تمهيداً لخلعه ومبايعة ابنه، من جهة أخرى وقف الفضل بن سهل خلف المأمون وأشار عليه بعدم الذهاب إلى بغداد والبقاء بخراسان، وهكذا أدّى تخل رجال الحاشية إلى تأجيج النزاع بين الطرفين[2].

مر النزاع بين الأخوين بطورين، مرحلة دبلوماسية سلمية انتهت سنة 195هـ/811م، وأعقبتها مرحلة عسكرية انتهت بمقتل الخليفة الأمين سنة 198هـ/813م. وترجع أسبابه إلى ثلاثة عوامل رئيسية تتمثل في: مشكلة ولاية العهد، والصراع الحزبين الفارسي والعربي، وأطماع الحاشية.

أ- المرحلة الدبلوماسية 170-195هـ: وتبدأ بمرض الرشيد إذ جدد البيعة للمأمون وجعل له كل من معه من الجند والمال والأثاث والسلاح، ولما توفي رجع الفضل بن الربيع بالعسكر وما فيه إلى الأمين في بغداد ولم يعرج على المأمون، فكانت أول مخالفة لوصية الخليفة الراحل، فاستنكر المأمون ذلك وأراد اللحاق واسترجاع الجيش، لكنه عدل عن ذلك بعد نصيحة مربيه الفضل بن سهل، وسعى إلى تثبيت مركزه في خراسان وذلك باسترضاء أهلها، وفي نفس الوقت أظهر تودده لأخيه الخليفة[3].

أما الأمين فلم يتسرع في تنفيذ مشروعه الرامي إلى نزع أخويه من ولاية العهد وإعطائه لابنه، فبدأ الخطوة الأولى بعزل أخيه القاسم (المؤتمن) عن ولايته واستقدمه إلى بغداد في سنة 194هـ، وفي نفس السنة كتب إلى جميع العمال بالدعاء لابنه موسى بالإمرة بعد الدعاء له وللمأمون والقاسم، ولما سمع المأمون بالأمر قطع البريد عن الخليفة وأسقط اسمه من الطرز[4].

فاستعمل الخليفة الحيلة من أجل تفريق المأمون عن مواليه الخراسانية، وطلب منه القدوم إلى بغداد لحاجته له، ولكن المأمون فطن للحيلة واعتذر بلباقة، فلما يئس الخليفة الأمين من مجيء أخيه كتب يطلب منه التخلي له عن بعض كور خراسان المهمة وأن يوجه العمال إليها باسمه، وذلك من أجل إضعافه وجعله تابعا له، فاضطرب

---

[1]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 142.

[2]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص. 116.

[3]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص. 367.

[4]- نفسه، ج.8، ص. 375.

المأمون للأمر وأرسل جوابا للخليفة يذكره بالعهود، في نفس الوقت أقام احتياطات لأمنية على خراسان، فوضع ثقات حرسه على الطرق وأمرهم بتفتيش كل الرسائل، وأوصاهم أن لا يجوز رسول من العراق إلى خراسان إلا مع الثقات من الأمناء دون أن يعلم من أمر خراسان شيء، وأمرهم بالقبض على المشبوهين[1].

ثم تفاقم النزاع بين الأخوين وبعث الخليفة الأمين وفدا من ثلاثة شخصيات مرموقة إلى أخاه المأمون من أجل إقناعه بضرورة تقديم ابنه موسى عليه في ولاية العهد،ولما فشل في الأمر خلعه في سنة 195هـ/811م وأخذ البيعة لموسى ولقبه "الناطق بالحق"، وأحضر كتابي العهد من فناء الكعبة المشرفة وأحرقهما، وهنا أصبح النزاع المسلح أمرا محتوما[2].

ب- النزاع المسلح 195-198هـ: أرسل الخليفة جيشا بقيادة علي بن عيسى بن ماهان والي خراسان الأسبق لقتال جيش أخيه، فتقدم إلى الري حيث كان يرابط جيش المأمون بقيادة طاهر بن الحسين[3]، والتحم الجيشان في معركة كبيرة سنة 196هـ/812م، أدت إلى انتصار جيش المأمون ومقتل القائد علي بن عيسى بن ماهان الذي كان مغرورا بقوته وتحدوه الآمال للعودة إلى منصبه القديم كوالي لخراسان، في هذه الأثناء بايع أهل خراسان المأمون بالخلافة[4].

أثارت أنباء الهزيمة الفزع في بغداد، مما أدى بالخليفة إلى تجهيز جيش أخر بقيادة عبد الرحمن بن جبلة الأنباري وأرسله إلى خراسان للتصدي إلى زحف طاهر، ووقعت المعركة الثانية في همذان فكرر جيش المأمون انتصاره وسيطر طاهر على المدينة ثم واصل زحفه باتجاه العاصمة بغداد برفقة القائد هرثمة بن أعين، وضربا عليها الحصار فدبت الفوضى داخلها، وتمكنت قوة خراسانية من دخول المدينة وأسروا الخليفة الأمين وأودعوه السجن بعد أن فر من حوله كل قواده، ثم اقتحمت عليه طائفة من الخراسانية الزنزانة وقتلوه في 25 محرم سنة 198هـ/ أب 813م، وسيطر طاهر على مدينة السلام[5].

ثانياً- خلافة المأمون(198-218هـ/813-833م):

1- التعريف به: هو عبد الله المأمون بن الخليفة هارون الرشيد، وأمه أم ولد يقال لها مراجل الباذغيسية، ولد في ربيع الأول من سنة 170هـ/787م، ولاه أبوه ولاية العهد في سنة 183هـ/ 799م وهو في سن الثالثة عشرة من عمره، بويع له بالخلافة في سنة 198هـ/813م وهو بالري وقدم بغداد في سنة 204هـ/819م. اشتهر بميله إلى

---

[1]- الطبري، المصدر السابق ، ج.8، ص ص، 375-376.

[2]- نفسه، ج.8، ص. 376.

[3]- نفسه، ج.8، ص ص، 390-391.

[4]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص 441.

[5]- طقوش، المرجع السابق، ص. 119-120.

العفو وكراهية الانتقام، وكان كريما حاضر البديهة سريع الجواب[1].

1- الأوضاع الداخلية في عهده: لم يكن المأمون مطمئنا لأهل بغداد أنصار أخيه والحزب العربي، فأثر البقاء في مدينة مرو يدير الخلافة منها، وذلك تحت تأثير بني سهل ذات الميولات الفارسية، حيث كانوا يفضلون أن تكون مرو مركز الخلافة العباسية[2]، وقد استجاب الخليفة إلى نصيحة وزيره الفضل بن سهل في عزل قائده الكبير طاهر بن الحسين عن العراق وعين أخاه الحسن بن سهل مكانه، وأبعد هرثمة بن أعين إلى خراسان، ثم كافئ وزيره الفضل بن سهل بإطلاق عليه لقب جديد "ذو الرئاستين" أي رئاسة السيف والقلم، وفوض إليه إدارة البلاد، فكان يقال له "الوزير الأمير"، وقد أدى هذا الأمر إلى إحداث مشاكل كبيرة للخليفة، تمثلت في سخط بعض العناصر العربية على السياسة الفارسية الجديدة[3]، وهكذا نشبت الاضطرابات في بغداد وبعض ولايات الخلافة.

اغتنم سكان بغداد هذه الأوضاع وبايعوا عم المأمون المنصور بن المهدي في بادئ الأمر ولكنه رفض بيعتهم[4]، وفي سنة 198هـ/814م، قام في شمال حلب زعيم عربي من بني عقيل اسمه "نصر بن شبث" ليثأر لمقتل الخليفة الأمين لأنه يمثل الحزب العربي، وسيطر على سميساط وشايعه كثير من الناس، وقوى أمره هناك إلى أن تمكن منه عبد الله بن نصر في سنة 209هـ/824م[5].

أ- الحركات الطالبية: انتهز الطالبيون حالة الفوضى وقاموا بحركات مناهضة في العراق والحجاز واليمن، لعل من أخطرها:

- حركة أبي السرايا(199-201هـ/815-816م): هو أبي السرايا السري بن منصور الشيباني، قام بأمر محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن ابن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، المعروف بابن طباطبا في يوم الخميس جمادى الآخرة من سنة 199هـ/815م، في مدينة الكوفة، يدعو إلى الرضىّ من آل محمد والعمل بالكتاب والسنّة، واتسع نفوذه بالسيطرة على البصرة والحجاز واليمن، وأوقع الهزيمة بالجيوش العباسية، ثم تخلص من ابن طباطبا بالسم وولى مكانه محمد بن محمد بن زيد العلوي، وأرسل بكسوة إلى الكعبة المشرفة، وقد نجح القائد هرثمة بن أعين بإخماد هذه الفتنة حيث دخل مدينة الكوفة وفر منها أبو السرايا إلى السوس من بلاد فارس ثم إلى الجزيرة حيث قبض عليه في جلاولاء، وأخذ إلى الحسن بن سهل بالنهراوان فضرب عنقه في سنة 201هـ/816م[6].

- حركة إبراهيم بن موسى بن جعفر: تزعمها محمد الديباج بن جعفر الصادق في سنة 200هـ/816م، في بلاد

---

[1]- ابن كثير، المصدر السابق، ج.10، ص ص، 274-275.

[2]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص ص، 158-159.

[3]- طقوش، المرجع السابق، ص ص، 121-122.

[4]- نفسه، ص. 122.

[5]- نفسه، 129-130.

[6]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص ص، 528-529.

الحجاز، حيث بويع له في مكة بإمرة المؤمنين، وقد كانت الخلافة العباسية منهمكة بمشاكلها الكثيرة ولم تبدى أي اهتمام جدي بهذه الحركة، التي لم تتصف بالخطورة، مما أتاح للخلافة القضاء عليها بسهولة، واضطر محمد الديباج إلى خلع نفسه، وأسباب فشل هذه الحركة هي: - افتقارها إلى دقة التنظيم، - وقاعدة شعبية تستند عليها، - وعدم انتشارها في الأمصار، وتقصير أتباعها في مواجهة العباسيي، -تردد محمد في الدعوة لنفسه، - اعتماده على الغوغاء من أهل مكة والسواد، - تردد أهل مكة في البيعة له[1].

ب- حركة بابك الخرمي: هي من أخطر الحركات السياسية الدينية التي عرفتها الخلافة العباسية، تميزت بسعة انتشارها وانتظام دعايتها وبراعة قيادتها واتصالها بالبيزنطيين، فقد شكلت ذروة التأمر الفارسي ضد الخلافة[2]، حيث اغتنم بابك الفرصة لإعلان حركته المعادية في سنة 201هـ/816م بالأقاليم الشمالية، فكانت جبال أذربيجان وأران مهد الحركة، وأحرزت نجاح في منطقة الجبال وهمذان وأصفهان وماسبذان ومهرجان، ودخل في دعوته جماعة من أكراد الجبل وقسم من الديلم وانتشرت في طبرستان وجرجان وأرمينايا وخراسان وسائر أرض العجم، واستقطبت بعض الدهاقين وأمراء الفرس من أهل السواد، كما سعى بابك إلى استمالة الأرمن، وتعاون مع البيزنطيين. واستمر في إحراز النجاح بفعل انهماك الخلافة في إخماد الفتن الداخلية في العراق والشام والحجاز ومصر، وتوفي الخليفة المأمون والحركة في أوج قوتها، وتصدى لها المعتصم بكل قوة[3].

3- عودة المأمون إلى بغداد:

حدث أثناء إقامة المأمون في مرو أن تأثر بالشيعة ومال إلى الطالبيين، ولبس الأخضر وتخلي عن السواد، وصاهر عليّ بن موسى بن جعفر الصادقبن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم، الإمام الثامن من أئمة الشيعة الإمامية الإثني عشرية، وفي يوم الثلاثاء لليلتين من شهر رمضان عام 201هـ/ نيسان 817م أعطاه ولاية العهد وعينه خليفة من بعده، وسماه الرّضِيّ من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم[4]، إرضاء لمشاعر الفرس المتعاطفين مع أل علي بن أبي طالب ـ رض ـ.

لقد أحدث هذا الأمر هزة عنيفة في البيت العباسي فبايع أهل بغداد إبراهيم بن المهدي[5]، وأنكر والي البصرة العباسي إسماعيل بن جعفر بن سليمان ابن علي تطبيق أمر الخليفة، وامتنع عن لبس اللون الأخضر وأعلن خلع المأمون، في حين بايع أهل مكة علي الرضا ولم يبدي أهل المدينة أي اعتراض، وقد أخفى الوزير الفضل بن سهل

---

[1]- طقوش، المرجع السابق، ص.128-130.

[2]- نفسه، ص. 131.

[3]- طقوش، المرجع السابق، ص. 133.

[4]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص. 554.

[5]- نفسه، ج.8، ص ص، 554-555.

عن الخليفة كل هذه التطورات[1].

لم يطلع المأمون على الحالة بغداد حتى سنة 202هـ حين أخبره الرضا، وفهم عندئذ نوايا بني سهل ووضعه الخطر[2]. وأدرك من عدم جدوى البقاء في مرو، وضرورة الذهاب إلى العاصمة بغداد، وذلك أمام ازدياد خطورة الأوضاع في مصر والجزيرة، وأدرك أن سياسة الفضل بن سهل سوف تؤدي إلى ضياع ملكه[3]، فقرر الاتجاه نحو العاصمة بغداد في 202هـ/817م، ويبدو أنه اكتشف تأمر وزيره الفضل بن سهل واتضحت لديه جوانب سياسته الرامية إلى تمكين العنصر الفارسي في الحكم، فأضحى التخلص منه أمرا ضروريا، فلم يكد المأمون يصل إلى مدينة سرخس حتى دبر مكيدة لمقتل وزيره الفضل بن سهل في شهر شعبان 202هـ/818م واستأنف طريقه إلى بغداد[4].

ولما وصل إلى مدينة طوس توفي ولي العهد العلوي علي الرضا فجأة في سنة 203هـ/818م، فدفنه المأمون بجوار قبر والده الرشيد، واتهمته الشيعة بوضع السم له، ثم واصل الخليفة طريقه ولم يكد يقترب من بغداد حتى سارع الناس إلى خلع إبراهيم بن المهدي وبايعوه في 17 ذي الحجة 203هـ/ حزيران 819م،ودخلها يوم السبت 14 بقين من صفر 204هـ/ أب 819م،وبعد أسبوع لبس السواد[5].

3- الأوضاع الخارجية:

انشغل المأمون بحربه ضد أخيه وإخماد الاضطرابات الداخلية، لذلك شهدت الجبهة البيزنطية ركودا يكاد يكون تاما، ولكن الصراع تجدد سنة 215هـ/830م حيث غز الخليفة المأمون الصائفة بنفسه وفتح حصن قرة وحصن شمال صملة وأخضع سندس وحصن سنان وماجدة، ثم قفل راجعا إلى دمشق[6]، فاغتنم البيزنطيون ذلك وأغاروا بقيادة تيوفيل بن ميخائيل على طرسوس والمَصِّيصَة، فرد الخليفة عليهم بهجوم ثاني في جمادى لأولة من سنة 216هـ[7]، وضل الأمر كذلك. وفي سنة 218هـ قام الخليفة المأمون بتحصين منطقة التخوم حيث وجه ابنه العباس لبناء وترميم الطُّوانة، وإستقدم حوالى أربعة آلاف مقاتل من دمشق والأردن وفلسطين، وجعل لكل فارس منهم نفقة مائة درهم، ولرّاجل أربعين درهماً، وفرض على مصر وقنسرين والجزيرة وبغداد لكل واحدة منهم ألف

---

[1]- طقوش، المرجع السابق، ص. 124.

[2]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص. 564؛ عبد العزيز الدوري، ص. 163.

[3]- طقوش، المرجع السابق، ص ص، 124-126.

[4]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص ص، 564-565.

[5]- نفسه، ج 8، ص. 568-570.

[6]- نفسه، ج.8، ص ص، 623-624.

[7]- نفسه، ج.8، ص. 625.

مقاتل[1].

وقد عقد المأمون اتفاق مع توماس الصقلبي قاد على إثرها ثورة مسلحة ضد الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثاني، في المقابل شاهدنا تأمر بابك الخرمي ضد المسلمين حين عقد اتفاق مع الإمبراطور البيزنطي.

4- الأوضاع العلمية في عهد المأمون:

كان عصر المأمون من أرقى العصور العلمية في الدولة العباسية، حيث وصلت الجهود الثقافية إلى ذروتها، وذلك لولوع المأمون بتحصيل العلوم والمعارف بمختلف جوانبها وأباح المناقشات الفكرية وشارك فيها بنفسه، وسخّر كل الإمكانات وسلك كافة السبل لجلب الكتب من مكتبات القسطنطينية وقبرص[2]، والعمل على نشرها بين أفراد الأمة الإسلامية، وقد تجلى ذلك في إمداد "بيت الحكمة" الذي وضع أساسه الرشيد في بغداد بالكتب من مختلف العلوم والفنون، جلبه من بلاد الهند والروم والفرس، حتى أصبح أشبه بجامعة كبيرة، تحوي دار للكتب يجتمع فيها العلماء للترجمة والتأليف والتدريس، وتحتوي على أماكن خاصة لنسخ الكتب، وطائفة من المعربين، وعلى مرصد فلكي، ويشرف على هذا البيت موظف يتصف بسعة العقل والأمانة العلمية يدعى "صاحب بيت الحكمة"[3].

وكان المأمون مثقفا ثقافة فارسية ويميل إلى حرية الفكر والبحث، مما دفعه إلى إقامة "مجالس المناظرة" حتى يتمكن عن طريقها من إزالة الخلاف بين العلماء والفرق المختلفة، وكان الخليفة يجلس بنفسه للمناظرة في كل يوم الثلاثاء ، ويناظر أحسن مناظرة وأنصفها وأبعدها من مناظرة المتجبرين[4].

والواقع أنه قدر للمأمون أن يخدم الثقافة الإسلامية خلال حياته السياسية عن طريق اهتمامه الشخصي بجمع تراث الأمم السابقة، خاصة التراث اليوناني والفارسي والهندي، فأرسل بعثات علمية للتنقيب عن ذلك ونقله إلى بيت الحكمة، وعكف المعربون على تعريب أمهات الكتب من اللغات السنسكريتية والفهلوية واليونانية والسريانية، وبرز منهم حنين بن إسحاق الذي عرب أثار جاليليوس وأرسطو وأفلاطون وأبقراط وبطليموس، فكافأه المأمون بإعطائه وزن ما ترجم ذهبا، وأتم ابنه إسحاق تعريب أعمال أرسطو وجميع أثار جاليليوس الفلسفية والطبية، واشترك مع عدد من العلماء في وضع موسوعة جغرافية للخليفة، كما استخدم المأمون جماعة من الفلكيين لرصد الأجرام السماوية وتسجيل وتحقيق كشوفات بطليموس، دراسة كسوف الشمس، وهكذا شهد عصره نهضة

---

[1]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص. 631.

[2]- طقوش، المرجع السابق، ص. 134.

[3]- عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ العرب، العصر العباسي الأول، ج.3، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993م، ص. 90؛ طقوش، المرجع السابق، ص. 136.

[4]- عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص.90.

علمية كبيرة[1].

تأثر الخليفة المأمون بآراء المعتزلة القائلة بأن القرآن الكريم مخلوق، أي أن كلام الله سبحانه وتعالى ليس قديم، فتبنى هذه البدعة وكتب كتابا في سنة 218هـ إلى نائبه على بغداد إسحاق بن إبراهيم، يتوعد فيه كل من يخالف القول بذلك من الموظفين وأمره بامتحان القضاة وإقالة كل من لا يقول بخلق القرآن من وظيفته، واتخذها المذهب الرسمي للدولة، وأمر بتقوية المعتزلة ومساندتهم في اضطهاد خصومهم، وقد ذهب ضحية هذه الفتنة عدد كبير من الناس والعلماء لم يصمدوا للحق إلا العالم الجليل أحمد بن حنبل الذي وقف في وجه الباطل وقال بأن القرآن كلام الله تعالي وتبعه في ذلك صاحبه عفان بن مسلم أبو عثمان، فتعرض إلى نكبة عظيمة، واستمرت هذه القضية إلى عهد المعتصم والواثق[2].

ومما يجدر التنويه إليه أن المأمون ركز اهتمامه في مسألة خلق القرآن على امتحان القضاة والمحدثين وسائر العلماء دون العامة لأنهم لا نظر لهم ولا استدلال، أما العلماء فهم أرباب النظر، وقد أصبح هذا الامتحان الديني أداة سياسية في يد الخلافة العباسية، تستخدمه في جميع الولايات لاضطهاد من لا يدينون بالطاعة والولاء للخلافة.

5- ولاية العهد ووفاة المأمون:

خلع المأمون أخاه القاسم من ولاية العهد في سنة 198هـ/814م، وفي مرضه الأخير تجاوز ابنه العباس وعهد لأخيه أبي إسحاق المعتصم، وأوصاه بوصية طويلة من بينها تعضيد القول بخلق القرآن الكريم، والاهتمام بشؤون الرعية، وبالثغور والعواصم، ومحاربة الخرمية، وأن لا يستوزر أحدا والرفق بالعلويين. وتوفي في البندون بطرسسوس وهو في طريقه لغزو بلاد الروم في يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رجب سنة 218هـ/ أب 833م، وهو يبلغ عشرين سنة وأشهر من عمره، وصلى عليه أخوه وولي عهده المعتصم، ودفن بطرسوس في دار خاقان الخادم[3].

المحاضرة السابعة

الخلافة العباسية في عهد أبو إسحاق محمد المعتصم وأبو جعفر هارون الواثق

(218-227هـ/833-847م)

أولا- الخلافة في عهد المعتصم (218-227هـ/833-841م):

---

[1]- طقوش، المرجع السابق، ص ص، 135-136.

[2]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص ص، 631-645.

[3]- بن كثير، المصدر السابق، ج.10، ص. 280.

1- التعريف بالمعتصم: هو أبو إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيدبن المهدي بن المنصور العباسي، يقال له المثمن، لأنه ثامن ولد العباس، وأنه ثامن الخلفاء العباسيين، وأنه فتح ثمان فتوح، وكانت خلافته ثماني سنوات وثمانية أشهر وثمانية أيام، وولد ببغداد 180هـ في شعبان الشهر الثامن من السنة، وتوفي وله ثمانية وأربعون سنة، وخلف ثمانية بنين وثماني بنات[1].

كان المعتصم أصهب أبيض البشرة، حسن الجسم ذو وجه جميل مربوعاً مشرباً بحمرة، عريض الصدر، طويل اللحية، يوصف بقوته الجسمانية[2]، وأمه أم ولد تركية تسمى"ماردة"، كان لا يحسن الكتابة إلا أنه جندي شجاع، ذات عبقرية في الحروب، تولى الخلافة بعد وفاة المأمون بطرسوس سنة 218هـ/833م[3]، وقد سعى بعض الأمراء إلى تولية العباس ابن المأمون، لكن هذا الأخير أسرع إلى حسم الموقف وبايع عمه، فأخمد الفتنة في المهد، وننوه هنا أن الجيش ظهرت منه بادرة خطيرة ولأول مرة وهي التدخل في أمر البيعة، حيث كان قسم منه يميل إلى مبايعة العباس[4].

حكم المعتصم الدولة حكما استبدادي ممزوج بالعطف وحسن التدبير والشجاعة، كان مولع بالعمارة فأنفق جل وقته في تشييد القصور وتخطيط الحدائق والبساتين، كما اهتم بالزراعة كثيرا[5].

2- الأوضاع الداخلية في عهده:

* **قضية الأتراك:** اختل التوازن بين العرب والفرس الذين حظوا برعاية الخليفة المأمون، كما ساءت العلاقة بين العباسيين والخراسانيين العنصر الأساسي المكون لدولتهم، وذلك مباشرة بعد انتقال المأمون من مرو إلى بغداد وتخلصه من بني سهل وقيام الحركات الفارسية المناهضة للخلافة، ومن هنا فقد المعتصم الثقة بهم، كما أن هذا الأخير لم يتطلع إلى العرب وذلك لأنهم فقدوا الكثير من قوتهم السياسة والعسكرية ولكثرة تقلباتهم تجاه الخلافة، لقد حملت هذه المعطيات المعتصم على الاعتماد على عنصر ثالث تمثل في العنصر التركي المعروف بالشجاعة والقوة العسكرية، فتوافقت هذه الصفات مع طباع المعتصم العسكرية[6].

الواقع أن الأتراك نفذوا إلى المجتمع الإسلامي منذ العهد الأموي، وزاد تأثيرهم العسكري والسياسي في الخلافة العباسية في عهد المأمون الذي استخدمهم في الجيش، وقد تنبه المعتصم لهذه العصبية الجديدة منذ أن كان أميرا، فكان يوجه سنويا بمن يشتري له منهم من جهات سمرقند، حتى اجتمع لديه منهم في عهد المأمون زهاء 3

---

[1]- بن كثير، المصدر السابق، ج.10، ص ص، 295-296.

[2]- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص. 176.

[3]- ابن كثير، المصدر السابق، ج.10، ص ص، 296-297.

[4]- الطبري، المصدر السابق، ج.8، ص. 667.

[5]- طقوش، المرجع السابق، ص. 138.

[6]- نفسه، ص. 144.

ألاف غلام، ولما أفضت إليه الخلافة ألح في طلبهم، فكان عبد الله بن طاهر يرسل إليه سنويا ألفي غلام كجزء من خراج خراسان، وكان يشجعهم على الانخراط في جيشه، وقربهم منه وقلدهم قيادة الجيوش، وجعل لهم مكانة سياسية، وأسكنهم سامراء[1].

كانت لسياسة المعتصم هذه نتائج وخيمة على الخلافة العباسية، فمن النتائج الآنية أن هذه السياسة أغضبت الحزب العربي، فنقموا على الخليفة وداسوا له المكائد من أجل اغتياله بزعامة "عجيف بن عنبسة" و"العباس" بن المأمون، لكنهم فشلوا في ذلك، وكانت النتيجة أن تخلص المعتصم على العباس وأقصي العرب والفرس تدريجيا من الساحة السياسية وأسقطهم من ديوان العطاء[2].

أما من حيث النتائج البعيدة، فقد استولى الأتراك على مقاليد السياسة وتسلطوا على الرعية والخلافة، مما أدى إلى انحرافها عن مسارها المعتاد العربي الفارسي، فأدى إلى إضعاف سلطتها وبدأت تنهار تدريجيا بتكون الدول الانفصالية وذلك منذ مقتل الخليفة المتوكل 247هـ/861م[3].

*** القضاء على المشاكل الداخلية:**

- حركة الزط: بدأت هذه الحركة في عهد المأمون، واستفحلت في عهد المعتصم بحيث سيطروا بقيادة زعيمهم محمد بن عثمان على طريق البصرة وفرضوا المكوس على السفن الداخلة إلى بغداد، فوجه المعتصم إليهم قائده عُجيف بن عنبسة في جمادى الآخرة من سنة 219هـ/834م، فتمكن منهم حيث قتل حوالي ثلثمائة رجل وأسر حوالي خمسمائة رجل، ونفى رؤساءهم إلى منطقة عين زربة الحدودية مع الروم[4].

- حركة بابك الخرمي: أنفق المعتصم معظم جهده في القضاء على هذه الحركة التي استفحل شرها، فقد إستطاعت هذه الحركة من إقناع خلق كبير من أهل الجبال من همذان وأصبهان وماسبذان ومهرجانقذق بإتباع دينهم في سنة 218هـ، فجند لهم الخليفة القائد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب الذي قتل منهم في همذان حوالى ستين ألفا وهرب الباقي منهم إلى يلاد الروم[5].

ولكن المعتصم فقذفها بالكتيبة تلو الأخرى، ففي عام 220هـ/835م، عين قائده الشهير الأفشين حيدر بن كاوس أميرا على الجبال وأمره بقتال بابك، وكان هذا القائد يمتاز بالحذر الشديد والخبرة الميدانية بالمسالك الجبلية، فاتبع خطة عسكرية مرنة تستند على التقدم البطيء، وقام بترميم جميع الحصون التي خربها بابك فيما بين برزند وأردبيل، كما إخترق جاسوسية بابك وكان المعتصم يوافيه بالإمدادات الازمة، كما رتب البريد ومهد الطرق

---

[1]- طقوش، المرجع السابق، ص. 144-145.

[2]- نفسه، ص. 145.

[3]- نفسه، ص ص، 145-146.

[4]- الطبري، المصدر السابق، ج.9، ص. 8-11.

[5]- نفسه، ج.8، ص. 667-668.

لتسريع الاتصالات بينه وبين قائده، بحيث كان يشرف على سير المعارك بنفسه من سامراء[1]. وتقدم الأفشين بروية إلى مدينة "البذ" مقر بابك، وأطبق عليها حصاره وتمكن من دخولها في 10 رمضان 222هـ/ 837م، وفر بابك إلى أرمينيا فقبض عليه البطريق سهل بن سنباط وسلمه للأفشين[2]، وجيء به إلى المعتصم بسامراء في صفر 223هـ/838م، حيث أمر الخلفية السياف بقطع يديه ورجليه حتى سقط، ثم ذبح وشق بطنه، وجز رأسه وبعث ليعلق بخُراسان وصلبت جثته عند العقبة بسامراء[3].

- **حركة المازيار:** اعتنق المازيار الإسلام وولاه المأمون على طبرستان ورويان ودنباوند ولقبه الأصبهذ، فأراد الانفصال عن جسم الدولة، وكان متفق مع الأفشين الذي حرضه على الخروج والعصيان، كما أنه كاتب بابك وعرض عليه المساعدة ويبدو أنه تبنى النزعة الخرمية وصادر معظم الأراضي من الملاكين ليضعف الدولة اقتصاديا، وقد وقف الخليفة المعتصم على أهداف هذه الثورة، حين ضبط عبد الله بن طاهر رسالة من الأفشين إلى المازيار، ومن سوء حضه أنه أعلن حركته في وقت غير مناسب 224هـ/839م، حيث كانت الدولة قد تخلصت من معظم الحركات المعادية، وبالتالي لم يكلف القضاء عليها الكثير من الجهد، وكانت نهاية المازيار شبيهة بنهاية بابك حيث قتله الخليفة وصلبه إلى جانب بابك[4].

- **القضاء على الأفشين:** استغل القائد التركي الأفشين منصبه القيادي ونفوذه في البلاط ليحقق طموحاته الانفصالية بتكوين دولة مستقلة في أشروسنة، فحاول استقطاب السكان الساخطين على الوالي العباسي هناك، وحاول إزاحة والي خراسان عبد الله بن طاهر، كما حرض المازيار ومنكجور الفرغاني بالثورة على حكم المعتصم. ولكنه فشل في تحقيق أهدافه بعد أن انكشفت مؤامرته للخليفة[5]، فحاول التخلص من هذا الأخير لكنه فشل في ذلك وتم القبض عليه، وحاكمه المعتصم وألصقت به عدت تهم من بينها الزندقة والتأمر على الخلافة، وأودع السجن حيث توفي فيه سنة 226هـ/841م[6].

3- سياسته تجاه الإمبراطورية البيزنطية: توقف القتال بين المسلمين والبيزنطيين في السنوات الأولى لخلافة المعتصم، وذلك لانهماك هذا الأخير في إخماد الفتن الداخلية (الزط، بابك الخرمي، الأفشين)، فقد أمر في نفس السنة التي إعتلى فيها العرش سنة 218هـ بهدم كل ما بناه الخليفة المأمون بطوانة، وأمرهم بحمل كل ما كان بها من عتاد وسلاح والأشياء الحربية إلى بغداد، وصرف كل من أسكنهم المأمون من الجنود[7]، ولكن الإمبراطور

---

[1]- الطبري، المصدر السابق، ج.9، ص ص، 11-13.

[2]- نفسه، ج.9، ص ص، 31-51.

[3]- نفسه، ج.9، ص ص، 52-53.

[4]- نفسه، ج.9، ص ص، 80-104.

[5]- نفسه، ج.9، ص ص، 104-110.

[6]- نفسه، ج.9، ص ص، 111- 114.

[7]- نفسه، ج.8، ص. 667.

البيزنطي تيوفيل أغار على أعالي الفرات ليؤمن الاتصال بالخرمية في أرمينايا وأذربيجان، وفي طريقه استولي على مدينة زبطرة مسقط رأس والدة الخليفة، وسبى المسلمات ومثل بالمسلمين، كما أحرق سميساط وملطية[1].

ولما سمع الخليفة المعتصم بالخبر، أستشاط غضباً وصاح في قصره النفير، ثم عبأ جيشاً قوياً م يجهزه خليفة قبله، تولاه بنفسه واتجه به نحو عمورية مسقط رأس تيوفيل، وعين أشناس التركي على قيادة المقدمة وإيتاخ على الميمنة وجعفر بن دينار على الميسرة وعجيف بن عنبسة على القلب، وكتب على ألوية الجيش وتروسها "عمورية"، ورسم الخليفة خطة محكمة للاستيلاء على المدينة، والتقي الأفشين بالإمبراطور تيوفيل عند سيواس بالقرب من أنقرة فكانت الغلبة للأفشين وسقطت أنقرة في يده، في هذه الأثناء بعث تيوفيل إلى الخليفة يطلب منه الصلح، ولكنه رفض وتابع زحفه تجاه عمورية، وتم حصارها ثم استسلمت في 17 رمضان 223هـ/ 838م، بعد أسبوعين، فأسر المسلمون الكثير من أهلها وغنموا الغنائم، وهدم المعتصم أسوارها[2].

كشفت هذه الحملة للمعتصم مدى ضعف الإمبراطورية هذا ما شجعه على مواصلة الزحف تجاه القسطنطينية، إلا أنه اضطر للعودة إلى بغداد بعدما كشف مؤامرة الجند مع العباس، ومهما يكن فحملة عمورية تعتبر مميزة عن الحملات السابقة، فهذه الأخيرة تقع في وسط أسيا الصغرى، وقد إقتنع تيوفيل بأن الإمبراطورية عاجزة عن مواجهة قوة المسلمين، فمال إلى المسالمة مع المسلمين، وتقررت الهدنة بين الطرفين في عام 227هـ/842م، ثم حدث أن توفي كل من المعتصم وتيوفيل في نفس العام[3].

4- وفاة المعتصم: توفي في مدينة سر من رأى في يوم الخميس 17 ليلة خلت من ربيع الأول 227هـ/ 841م، بعد مرض، وكان قد عهد لإبنه هارون[4].

ثانيا- خلافة أبو جعفر هارون الواثق (227-232هـ/841-847م):

1- التعريف به: هو هارون ابن المعتصم، ويكنى"أبا جعفر"، أمه أم ولد تدعى قراطيس، بويع له بالخلافة في اليوم الذي توفي فيه والده[5]، كان أبيض اللون مشربا بالحمرة جميل المنظر حسن الجسم سيء الطوية، قاتم العين اليرى، فيها نكتة بيضاء[6]، اشتهر برجاحة العقل وحسن التصرف السياسي، يحب العلم والأدب حتى أنه أفرد في قصره مجلسا للمناقشة الفكرية مقتديا بالمأمون، فلقب بـ" المأمون الصغير"[7].

---

[1]- الطبري، المصدر السابق، ج.9، ص. 55- 56.

[2]- نفسه، ج.9، ص ص، 56-71.

[3]- طقوش، المرجع السابق، ص. 150-151.

[4]- ابن كثير، المصدر السابق، ج.10، ص ص، 296-297.

[5]- نفسه، ج.10، ص. 297.

[6]- الطبري، المصدر السابق، ج.9، ص. 123؛ ابن كثير، المصدر السابق، ج.10، ص. 308.

[7]- طقوش، المرجع السابق، ص. 152.

2- سياسته: يعتبر عصر الواثق فترة انتقال بين عصرين مختلفين، وقد تصدى إلى حركات الأعراب من بني سليم وغيرهم من البدو الذين عاثوا فسادا في جهات المدينة، وفرض الأمن على الطرق التجارية في الجزيرة[1].

اعتنق الخليفة الواثق عقيدة المعتزلة القائلة بخلق القرآن، وانتهج نفس سياسة والده في الانتصار لهذه الفكرة وتشدّد في فرض أرائه الدينية على الناس، فثار عليه أهل بغداد من عامة وفقهاء وطلبوا عزله، ولكنه تراجع عن تلك العقيدة قبل وفاته[2].

اعترى إدارة الواثق الضعف والتحكم من قبل الولاة والبطانة، وتفشّت الرشوة وكثر الفساد، وقد اتبع الخليفة سياسة التشدد تجاه عماله وكتابه مقتفيا في ذلك أثر جده الرشيد، فنكب بالعديد من كتّابه وانتزع الأموال منهم[3]، في المقابل تمتع ولاة الأقاليم في عهده بنفوذ كبير، فقد حكم عبد الله بن طاهر خرسان وطبرستان وكرمان وكاد الاستقلال بها، كما حكم أشناس الجزيرة والشام ومصر والمغرب، وحكم إيتاخ التركي أجزاء من خراسان والسند وكور دجلة[4].

وفي 10 محرم سنة 231هـ تم الفداء بين الواثق الإمبراطورية البيزنطية، حيث اجتمع المسلمون والروم على ضفتي نهر اللمس بسلوقية بالقرب من مدينة طرسوس، وتم تبادل الأسرى بين الطرفين، ومن غرائب الأمور أن الواثق طلب من عماله بإمتحان الأسرى في قضية خلق القرآن، وبأن الله عزّ وجلّ لا يرى في الآخرة، وكل من يقول بغير ذلك يتم إرجاعه للبزنطيين، وبلغ عدد المسلمين إلى ثلاثة آلاف رجل وخمسمائة امرأة[5]

3- وفاته: حكم الواثق أقل من6 سنوات وتوفي في6 بقين من ذي الحجة232هـ/847م إثر مرض الإستسقاء الذي أصابه، وهو ابن 36سنة، ولم يولي العهد أحد[6]، وبذلك انتهه العصر الأول للخلافة.

المحاضرة التاسعة

النفوذ البويهي على الخلافة العباسية

(334-447هـ/946-1055م).

يعتبر العصر الثالث الذي مرت به الخلافة العباسية الممتد من سنة 334هـ/946م إلى سنة 447

---

[1]- الطبري، المصدر الساق، ج.9، ص.132- 135.

[2]- طقوش، المرجع السابق، ص. 152-153.

[3]- الطبري، المصدر السابق، ج.9، ص. 125- 128.

[4]- طقوش، المرجع السابق، ص. 153.

[5]- الطبري، المصدر السابق، ج.9، ص ص، 141-145.

[6]- نفسه، ج.9، ص ص، 150-151.

هـ/1055م، هو عصر النفوذ البويهي الفارسي بامتياز، حيث سيطرت أسرة بنوا بويه على الحياة السياسية والعسكرية والإجتماعية والإقتصادية والثقافية على مقدرات الخلافة العباسية، وقد حكم في هذا العصر خمسة خلافاء عباسيين، هم على التوالي:

- أبو القاسم عبد الله المستكفي:(333-334هـ/944-946م).
- أبو القاسم الفضل المطيع:(334-363هـ/946-974م).
- أبو بكر عبد الكريم الطائع:(363-381هـ/974-991م).
- أبو العباس أحمد القادر:(381-422هـ/991-1031م).
- أبو جعفر عبد الله القائم:(422-467هـ/1031-1075م)[1].

أما أسماء أمراء بنوا بويه ومدة إمارة كل واحد منهم، فهي مبينة في الجدول الأتي[2]:

في فارس	في العراق والأهواز وكرمان	في الري وأصفهان وهمذان
1- عماد الدولة أبو الحسن علي بن بويه(320-338هـ/932-946م) 2- عضد الدولة أبو شجاع خسرو(338-372هـ/946-982م) 3- شرف الدولة أبو الفوارس شيرزاد(372-379هـ/982-989م). 4- صمصام الدولة أبو كاليجار المرزبان(379-388هـ/989-998م). 5- بهاء الدولة أبو نصر(388-403هـ/998-1012م).	1- معز الدولة أبو الحسين أحمد(320-356هـ/932-967م). 2- عز الدولة بختيار(356-367هـ/967-977م). 3- عضد الدولة أبو شجاع خسرو(367-372هـ/977-982م). 4- شرف الدولة أبو الفوارس شيرزاد(372-379هـ/982-989م) 5- بهاء الدولة أبو نصر(379-403هـ/989-1012م). 6- سلطان الدولة أبو شجاع(403-412هـ/1012-1021م). 7- مشرف الدولة أبو علي(412-416هـ/1021-1024م).	1- ركن الدولة أبو علي حسن(320-366هـ/932-976م). 2- مؤيد الدولة أبو منصور(366-373هـ/976-983م). 3- فخر الدولة أبو الحسن علي(366-387هـ/983-997م). 4- شمس الدولة أبو طاهر(387-412هـ/997-1021م). 5- مجد الدولة أبو طالب رستم(387-

[1]- طقوش، المرجع السابق، ص 217.

[2]- ينظر، طقوش، ص ص، 218-219.

6- سلطان الدولة أبو شجاع(403-415هـ/1012-1021م). 7- عضد الدولة أبو كاليجار المرزبان(415-440هـ/1024-1048م). 8- الملك الرحيم أبو نصر خسرو فيروز(440-447هـ/1048-1055م).	8- أبو طاهر جلال الدولة(416-435هـ/1052-1043م). 9- أبو كاليجار مرزبان(435-440هـ/1043-1048م). 10- الملك الرحيم أبو نصر خسرو فيروز(440-447هـ/1048-1055م)	420هـ/997-1029م). 6- سماء الدولة أبو الحسن(412-414هـ/1021-1023م).

أولا- الأصل والموطن

ينتسب البويهيون إلى رجل فارسي يدعى أبي شجاع بويه بن فناخشرو من قبيلة (شيرزل اوند)، من إقليم الديلم[1] في جنوب غرب بحر قزوين. وقد ذكرت بعض الروايات أنهم ينتسبون إلى بني ضبة إلى بهرام بن الضحاك بن الأبيض بن معاوية بن الديلم بن باسل بن ضبة بن أد، الذين سكنوا في الناحية الشمالية من بلاد نجد، بجوار بني تميم، وأنهم هاجرو على أثر نزاع حدث بينهم وبين جيرانهم من القبائل اخرى، وأنهم ينقسمون على قسمين: ديلم وجيل، وهناك من ينسبهم إلى ملوك آل ساسان، إلى بهرام جور بن بزدجرد[2]. وقد قامت دولتهم على يد أولاده الثلاثة: علي-عماد الدولة- والحسن-ركن الدولة- وأحمد –معز الدولة- والحقيقة أنهم كانوا أسرة فقيرة ببلاد الديلم، وكان أبوهم بويه رجلا من عامة الناس يقتات من صيد الأسماك.لكن هذه الأسرة الفقيرة عظم أمرها حتى سمى باسمها عصر من عصور الخلافة العباسية، حيث بدأ ظهر هذه الأسرة على مسرح الأحداث في أوائل القرن الرابع الهجري/الحادي عشر الميلادي، وأسسوا دول إنفصالية في فارس والأهواز وكرمان والري وأصفهان وهمذان، وتصنف حركتة ضمن الحركات الفاريسة الشيعية الزيدية الرامية إلى الإطاحة بالخلافة العباسية وإعادة الإعتبار للإمبراطورية الساسانية الفارسية[3].

ثانيا- هجرتهم وتأسيسهم الدولة البويهية:حين تمكن الدعاة العلويون من السيطرة على جيلان وطبرستان من أيدي الأمراء السامانيين، كان الأخوة البويهيون المغامرون: علي والحسن وأحمد قد بلغوا سن الرشد، وانحازوا إلى

[1]- يمتد إقليم الديلم من جنوب بحر قزوين والطرم وشيئ من أذربيجان وبعض أراضي الري وبتصلب ها من جهة الشرق بعض أعمال الري وطبرستان، أما من الشمال فبحر الخزر ومن الغرب جزأ من أراضي أذربيجان وبلدان الران، وجبال الرويندج وباذوسبان وجبال قارن وجرجان. (ينظر: علي حسن غضبان: البويهيون في فارس – دراسة في الأحوال السياسية والفكرية-، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، 2014م، ص ص، 99-100.)

[2]- نفسه، ص ص، 119-120.

[3]- طقوش، المرجع السابق، ص 220.

العلويين كأغلب الرؤساء الديالمة، وأسلموا على يد الأطروش على المذهب الشيعي الزيدي، وعندما أعاد الأطروش الدولة الزيدية إلى عهدها الأول، واسترد كل ممتلكاتها من عمال السامانيين، إتخذ قوّاداً من الديالمة من بينهم بنو بويه: علي والحسن وأحمد، الذين كانوا ضمن قوّاد ماكان بن كاكي[1].

وعندما آلت طبرستان للأطروش ضم إليه الكثير من القواد من بينهم أبو الحسن علي بن بويه، الذي قاد وقائع حربية ضد ولاة خراسان من بني العباس، وبعد وفاة الأطروش سنة 304هـ/916م تولي مكانه الحسن بن القاسم وقد أخرج هذا الأخير أولا الأطروش : أبا القاسم، وجعفر، وأحمد إلى جرجان، وكان معهم أبو شجاع بويه[2].

بعد ذلك اشتغل أبناء بويه بخدمة القائد مرداويج بن زيار الديلمي الذي استقل بمنطقة طبرستان والديلم، حيث عين هذا الأخير علي بن بويه على ولاية الكرج سنة 318هـ/930م. ومن هذه النقطة بدأت الهجرة البويهية نحو الجنوب حتى استقرت في إقليم فارس، واستولت على كل المنطقة الواقعة بين بحر الخزر وخليج العجم، واتخذ مدينة شيراز قاعدة لحكمه[3].

ويبدو أن العلاقة بدأت تتوتر بين مردويج وبنوا بويه، حيث كان الأول يتوجس من بأس هؤلاء وأطماعهم، فصمم على طردهم من الكرج، فرحل هؤلاء على أثرها إلى اصفهان، فإنضم إليهم في الطريق بعض القواد والمقاتلين بالديلم وعلى رأسهم حاكم جرباذقان شيرزاد مع جنده، وفي سنة 321هـ/933م استولي على مدينة إصفهان بعد أن هزم حاكمها العباسي ابن ياقوت، وقد عضم عماد الدولة في أعين الناس لأنه إستطاع بجند قليل عددهم 600 رجل من هزيمة قوة كبيرة تقدر بـ 10 آلاف، وقد صلت أنباء إنتصار عماد الدولة البويهي إلى الخلافة العباسية فاستعظمته، في المقابل أقلقت هذه الوقعة مردويج وإغتم غماً شديداً[4].

حاول مردويج إستعمال الحيلة للتخلص من عماد الدولة بن بويه، حيث بعث له رسالة يستميله فيها ويطلب منه فيها بالطاعة له والخطبة له في البلاد التي يستولي عليها، مقابل إمداده بجيش كبير ليستمر في فتح البلاد، في نفس الوقت جهّز أخاه وشمكير في جيش كثير ليقبظ على ابن بويه، فتفطن هذا الأخير للمؤامرة فترك مدينة أصفهان حيث إستولى عليها وشمكير وإستولى على أرجان ورامهرمز، في حين إستولى أخاه الحسن ركن الدولة فإستولى على كزرون وغيرها من أعمال فارس[5].

وفي سنة 322هـ/934م، استولى عماد الدولة بن بويه على مدينة شيراز، وإتخذها مقراً له، وعظم امره

---

[1]- علي حسن غضبان: البويهيون في فارس، المرجع السابق، ص ص، 125-126.

[2]- نفسه، ص ص، 126-127.

[3]- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج.7، المصدر السابق، ص ص، 89-90.

[4]- نفسه، ج.7، المصدر السابق، ص 90.

[5]- نفسه، ج.7، ص ص، 90-91.

وقصده الناس من كل الطراف، ولما علم مرادويج بالأمر سار إلى أخيه وشمكير بأصبهان[1]، أما أخوه نصر بن أحمد فقد استولى على بلاد كرمان[2].

ويبدو أن الظروف السياسية كانت تعمل لمصلحة البويهيين ففي عام 323هـ/935م قتل مرداويج[3]، فاستفاد علي البويهي من هذه الفرصة، وسيطر على بلاد الجبل التي كانت تحت سيادة وشمكير الزياري شقيق مرداويج، وأرسل أخاه حسن، الذي فرّ بعد مقتل مرداويج، إلى عراق العجم، فسيطر على أصفهان والري وهمذان والكرج وبقية بلاد العراق العجمي، واتخذ أبا الفضل بن العميد وزيراً له[4].

1- اتصالهم بالخلافة العباسية

في هذه الأثناء كانت الخلافة العباسية تعيش في الفوضى، ذلك أن الخليفة المتقي (329-333هـ/940-944م)، كان مجرد ألعوبة في يد القواد المتنافسين على السلطة من جهة، وفي أيدي البريدي والي خوزستان، وابن رائق، والحمدانيين من جهة أخرى. وعندما حاول الدخول في مفاوضات مع إخشيد مصر أعتقله الأمير التركي توزون وسمل عينية وعين ابنه المستكفي مكانه.لم يكن المستكفي بأحسن حال من والده، ولما عجز الأمراء على وضع حد لتمرد الجند المطالبين بدفع أرزاقهم، وكذلك إيجاد حل لشبح المجاعة التي كانت تهدد العراق، استنجد الخليفة بأحمد بن بويه الذي أضحى قوة في فارس يحسب لها ألف حساب، وذلك ليخلصه من المأزق[5].

2- دخول بغداد سنة 334هـ/945م

استولى أحمد البويهي على مدينة واسط بعد معركة نشبت بينه وبين البريدي والأمير توزون. وفي أواخر سنة 334هـ/945م دخل مدينة بغداد ظافرا، فاستقبله الخليفة المستكفي بالله واحتفى به، وبايع أحمد بن بويه الخليفة في حين قلده هذا الخير منصب(إمرة الأمراء)، وشرفه بلقب "معز الدولة". ولقب أخاه علياً عماد الدولة كما لقب أخاه الأخر حسن ركن الدولة[6]، هكذا حل البويهيون الفرس محل الأتراك في حكم فارس والعراق. وبهذا بدأ عصر التسلط البويهي الشيعي على الخلافة واستمر إلى سنة 447هـ.

ثالثا- تسلطهم على الخلافة: كان من المتوقع أن يعيد البويهيون الاستقرار والوحدة إلى أقاليم الخلافة بفرض سيطرتهم عليها، وكبح جماح جندهم، وإفساح المجال أمام الخلافة كي تضطلع بمسؤولياتها، وتجنب إثارة الفتن

---

[1]- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج.7، ص ص، 94-95.

[2]- نفسه، ج.7، ص. 96.

[3]- نفسه، ج.7، ص 108.

[4]- طقوش، المرجع السابق، ص ص، 221-222.

[5]- وفاء محمد علي: الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين، المكتب الجامعي الحيث، الإسكندرية، مصر، د ت ن، ص ص، 32-35.

[6]- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المصدر السابق، ج.7، ص ص، 205-206.

المذهبية، إلاّ أن ذلك لم يتحقق، لأنهم دخلوا بغداد وهم يحملون الحقد والعداء للخلفاء العباسيين المخالفين في المذهب[1]، وقد فكر معز الدولة في إلغاء الخلافة وإقامة خلافة شيعية مكانها، وتنصيب أحد الزعماء الشيعة الزيدية، إلاّ أنه أحجم عن ذلك بعد استشارة أصحابه، لأن مثل هذا التغيير كان سيعرض العالم الإسلامي لهزات عنيفة، وسيزعزع الحكم البويهي، إضافة إلى ذلك أن شيعة العراق كانوا على مذهب الإمامية وتنصيب خليفة زيدي لا يخدمهم، لذلك أدرك المعز بأن البقاء على الخلافة السنية أجدر، متبعا المبدأ الزيدي القائل:"بجواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل" مع الحد من سلطة الخليفة[2].

لقد ساد العهد البويهي شيء من الإستقرار السياسي من حيث مدة حكم الخلفاء، فقد تولى الخلفاء الحكم سنوات طويلة قبل أن يعزلوا، فقد حكم الخليفة المستكفي وخلع في نفس السنة لانعدام الثقة بينه وبين أحمد بن بويه[3]، وعين مكانه المطيع الذي حكم 29 سنة (334-363هـ) ثم الطائع الذي حكم 18 سنة (363-381م)، ثم القادر الذي حكم 41 سنة (381-422هـ)، ثم القائم الذي عاصر نهاية العصر البويهي وبداية العصر السلجوقي[4].

يذكر كثير من المؤرخين بأن بنو بويه أذلّوا الخلفاء العباسيين، وسلبوهم سلطانهم حتى أصبحوا ألعوبة في أيديهم، حيث أصبحوا يمثلون رمزا دينيا فقط، فالخليفة لم يعد مسئولا عن الخزانة والإدارة المالية ولا عن الجند ولا عن السياسة، بل تتلخص مهمته في إعطاء الشرعية لبني بويه فقط[5].

أما بالنسبة لنفقات الخليفة فقد جعلوا له راتبا يوميا يسمى (مياومة) ثم أضافوا إلى ذلك الضياع، ومع ذلك فقد كان بنو بويه يقتحموا قصر الخليفة من حين إلى أخر فينهبوا كل ما فيه من نفائس، فقد نهب قصر الراضي والمتقي[6].

وقد لقب أمراء بنى بويه بلقب (الملك) (ملك الملوك) أو (شاهنشاه الأعظم) وحدث تغيير بالنسبة لإمرة الأمراء حيث أصبحت تورث في بيت معين[7].

رابعا- نهاية الدولة:

اضطربت أوضاع البويهيين بعد وفاة بهاء الدولة سنة 403هـ/1012م، حيث تنازع أولاده على منصب إمرة الأمراء. وظهور نظام اجتماعي جديد تمثل في نظام الإقطاع. كما انكمش البويهيون على أنفسهم ضمن دائرة

---

[1]- طقوش، المرجع السابق، ص ص، 223-224.

[2]- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج.7، المصدر السابق، ص 208.

[3]- نفسه، ج.7، ص ص، 206-207.

[4]- طقوش، المرجع السابق، ص 224.

[5]- نفسه، ص 224.

[6]- نفسه، ص ص، 226-227.

[7]- نفسه، ص ص، 228-229.

نفوذهم ولم يشتركوا في الأحداث التي كانت تشهدها المناطق الإسلامية الأخرى[1].

لم يعيروا اهتماما لتنامي القوة البيزنطية كما اتخذوا موقف سلبي تجاه النزاع الحاد الذي كان يدور بين الطولونيين والإخشيديين من جهة وبين الخلافة والدولة الحمدانية من جهة أخرى. أما في الشرق فلم يشاركوا الدولة السامانية والغزنوية في الدفاع عن مناطق الحدود مع الهند والترك الوثنيين. وسقطت الدولة البويهية على يد طغرلبك السلجوقي عندما دخل بغداد سنة 447هـ/1055م وأسر الملك الرحيم البويهي[2].

خامسا: الحياة العلمية على عهد بني بويه

رغم أن أوائل الأمراء البويهيين(الإخوة المؤسسون) كانوا بعيدين كل البعد عن أي اهتمام أدبي أو علمي، ولا صلة لهم بالثقافة العربية الإسلامية السائدة، حتى أن معز الدولة نفسه أمير العراق لم يكن يحسن الكلام بالعربية، وقد احتاج لمترجم بينه وبين الوزير السابق علي بن عيسى، إلاّ أن وزراءهم الكبار، أمثال: ابن العميد، والمهلبي قد عوضا عن ذلك النقص بشكل كامل[3].

فقد إهتم الوزراء بإنشاء دور العلم والمكتبات العامة، فقد اشترى أبو النصر سابور وزير بهاد الدولة سنة 381هـ/991م داراً في الكرخ وسماها "دار العلم"، ونقل إليها كتباً كثيرة ابتاعها وجمعها وعمل لها فهرساً، وكان فيها أكثر من 10 آلاف مجلد ثم احترقت أيام السلاجقة[4].

إلا أن الجيل الثاني من البويهيين، والذين تربى وتشبع بالثقافة العربية الإسلامية، قد أبدى اهتماماً كبيراً بالحياة العلمية والأدبية، فعدا عن رعايتهم للعلماء والأدباء، والإنشاءات التي أقاموها كالمراصد والمكتبات والمدارس والمستشفيات، فإن اهتمامهم واعجابهم وانخراطهم بالثقافة العربية قد أوصل بعضهم إلى أن يكونوا شعراء باللغة العربية[5].

فابن معز الدولة، حبشي جمع في كتبته ما يناهز على خمسة عشر ألف مجلد سوى الأجزاء وما ليس بمجلد، أما أخوه عز الدولة بختيار الذي خلف أباه في حكم العراق فكان من بين الذين تولوا تعليمه محمد بن جعفر الهمذاني، كما تولى أبو نصر محمد بن الشيرازي خازن كتب عضد الدولة وقاضي فارس تعليم صمصام الدولة، وكان بختيار ينظم الشعر، ويبقى عضد الدولة الأبرز من بين جميع أمراء بني بويه ثقافة وعلماً واطلاعاً على

---

[1]- طقوش، المرجع السابق، ص ص، 230-231.

[2]- نفسه، ص 231.

[3]- حسن منيمنة: تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي – مقاطعة فارس- 334-447هـ/945-1055م، دار الجامعة، 1407هـ/1987م، ص ص، 313-314.

[4]- نفسه، ص. 316.

[5]- نفسه، ص. 314.

معظم العلوم، واهتماماً برعايته الأدب والعلماء[1].

وقد أمر شرف الدولة في سنة 378هـ/988م برصد الكواكب السبعة في مسيرها وتنقلها في بروجها على مثل ما كان الخليفة المأمون يفعله في أيامه، وبنى لهذا الغرض مرضدا في بغداد وأوكل إدارته لابن رستم الكوهي، المنجم المشهور في بغداد بالهندسة وعلم الهيئة، ويساعده مجموعة من العلماء من بينهم: أبو حامد الاصطرلاني، الذي كان متحكماً بصناعة الإصطرلاب والآلات الرصدية، وقد استمرت عناية معظم الأمراء البويهيين بإقامة المجالس الثقافية وتشجيع رجال العلم والأدب، والكناية بمكتباتهم، وكان مسكويه المؤرخ خازناً لمكتبة الوزير ابن العميد، واتصل بعضد الدولة وصمام الدولة، وشرف الدولة[2].

وقد ذهب البعض بالقول بأن بنوا بويه كانوا يهتمون بالعلوم المذهبية، فيقدمون الرعاية للعلماء المتشيعون للعلويين بصفة عامة، ولعلماء المذهب بصفة حاصة، حتى يظهروا أمام الرعية بمظهر الحريص على الدين والمدافعين عنه، وهم بذلك يعبرون عن ميول شيعية متعصبة، دفعتهم إلى تأسيس العديد من المراكز الشيعية في العراق لخدمة أغراضهم[3].

المحاضرة العاشرة

النفوذ السلجوقي على الخلافة العباسية

(337-656هـ/1055-1258م).

يعتبر العصر الثالث الذي مرت به الخلافة العباسية الممتد من سنة 337هـ/1055م إلى سنة 656هـ/1258م، هو عصر النفوذ السلجوقي التركي بامتياز، حيث سيطرت قبيلة السلاجقة التركية على الحياة السياسية والعسكرية والإجتماعية والإقتصادية والثقافية للخلافة العباسية، وقد حكم في هذا العصر إثناعشر خليفة عباسي، هم على التوالي:

1- أبو جعفر عبد الله القائم(422-467هـ/1031-1075م).

2- أبو القاسم محمد المقتدي(467-487هـ/1075-1094م).

3- أبو العباس أحمد المستظهر(487-512هـ/1094-1118م)

---

[1]- حسن منيمنة: تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، المرجع السابق، ص 317.

[2]- نفسه، ص 317.

[3]- رشاد عباس معتوق: الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي 334-447هـ/945-1055م، أطروحة دكتوراه، إشراف: حسام الدين السامرائي، جامعة أم القرى، قسم الدراسات العليا الحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، 1410هـ/1990م، ص 101.

4- أبو منصور الفاضل المسترشد(512-529هـ/1118-1135م)

5- أبو جعفر منصور الراشد(529-530هـ/1135-1136م)

6- أبو عبد الله محمد المقتفي(530-555هـ/1136-1160م)

7- أبو المظفر يوسف المستنجد(555-566هـ/1160-1170م)

8- أبو محمد الحسن المستضئ(566-575هـ/1170-1180م)

9- أبو العباس أحمد الناصر(575-622هـ/1180-1225م)

10- أبو نصر محمد الظاهر(622-623هـ/1225-1226م).

11- أبو جعفر منصور المستنصر(623-640هـ/1226-1242م)

12- أبو أحمد عبد الله المستعصم(640-656هـ/1242-1258م)[1].

أما أسماء أمراء بنوا بويه ومدة إمارة كل واحد منهم، فهي مبينة في الجدول الأتي[2]:

السلاجقة العظام في خراسان وإيران	سلاجقة العراق
1- ركن الدين أبو طالب طغرلبك(429-455هـ/1037-1063م) 2- عضد الدولة أبو شجاع ألب أرسلان(455-465هـ/1063-1072م) 3- معز الدين أبو الفتح ملكشاه الأول(465-485هـ/1072-1092م 4- ناصر الدين محمود(485-487هـ/1092-1094م). 5- ركن الدين أبو المظفر بركياروق(487-498هـ/1094-1104م). 6- جلال الدولة ملكشاه الثاني(498هـ/1104م). 7- غياث الدين أبو شجاع محمد(498-	1- مغيث الدين محمود(511-525هـ/1117-1131م) 2- غياث الدين داود(525-526هـ/1131-1132م). 3- ركن الدين أبو طالب طغرل الثاني(526-529هـ/1132-1135م). 4- غياث الدين أبو الفتح مسعود(529-547هـ/1135-1152م). 5- معز الدين أبو الفتح ملكشاه الثاني(547هـ/1152م). 6- غياث الدين أبو شجاع محمد الثاني(547-554هـ/1153-1159م) 7- غياث الدين أبو شجاع سليمان شاه(554-556هـ/1159-1161م) 8- ركن الدين أبو المظفر أرسلان شاه(556-571هـ/1161-1175م)

[1]- طقوش، المرجع السابق، ص 235.

[2]- ينظر، طقوش، ص ص، 218-236.

511هـ/1104-1117م)	9- ركن الدين أبو طالب طغرل الثالث(571-590هـ/1175-1194م).
8- معز الدين أبو الحارث سنجر(511-552هـ/1117-1157م).	

أولا- السلاجقة الأصل والموطن:

ينحدر السلاجقة من قبيلة قنق الغزية التركية، وينتسبون إلى جدهم سلجوق بن دقاق(ومعناها القوس من الحديد)، وكانت مضاربهم في آسيا الوسطى، وكان سلجوق تابع لقائد الترك بيغو، وقد فوض إليه أمر جيشه حيث عينه قائد الجيش، ولقبه بسوباشي، ولكن ولكن العلاقة سرعان ما توترت بين الطرفين، حيث أخذت زوجة ملك التّرك تحرض زوجه على سلجوق، وطلبت أن يتخلص منه، فخاف سلجوق من الأمر وقرر الهرب رفقة قبيلته وجنده صوب أراضي الإسلام، وإستقر بنواحي جند، وإعتنق الإسلام على المذهب الحنفي، وضل طيلة حياته يحارب الكفار في تلك المناطق[1].

خلف ثلاثة أولاد، هم: المير ميكائيل والأمير موسى والأمير بيغو أرسلان المدعو إسرائيل، وكانوا يقطنون في مدينة بخارا في بلاد ما وراء النهر، حيث إلتحق الأمير ميكائيل بن سلجوق في خدمة السلطان الغازي يمين الدّولة أبي القاسم محمود بن سبكتكين، ثم سمح لهم هذا الأخير بعبور نهر جيحون والإستقرار في منطقة خراسان، وإستقروا بمرج دندانقان، وضلوا هناك في خدمة سلطان الدولة الغزنوية إلى غاية وفاته في سنة 422هـ[2].

ثانيا- هجرتهم وتأسيسهم الدولة السلجوقية:

تغير السلاجقة على ابن سلطان الدولة الغزنوية أبو سعيد مسعود فحاربهم عدة مرات وأسر وقتل منهم عدد كبير، ومن بين من أسر الأمير بيغو ارسلان المدعو اسرائيل بن سلجوق، حيث أخذه إلى مدينة ملكه غزنة وحبسه في قلعة إلى أن توفّى، وبعد ذلك توفي الأخ الأخر ميكائيل بن سلجوق، ولكنه ترك ثلاثة أولاد، هم: الأمير بيغو وجقربك داود وطغرلبك محمّد[3].

عمل السلطان طغرلبك على جمع شمل قبيلته التركية، وإستطاع على إثر إنتصاره على السلطان مسعود الغزنوي في معركة داندانقان في يوم الخميس 8 رمضان سنة 431هـ/1040م من تأسيس دولة سلاجقة خراسان[4]. يقول المؤرخ الروندي:"فلما أحرز السلاجقة النصر في هذه المعارك ازدادوا قوة، ولحق بهم جيوشهم المتفرقة في أطراف خراسان، فاشتّد وقعهم في القلوب، وتقرر الملك لهم، وسخرت الدنيا لإمرتهم واستحقوا السلطان عن جدارة

---

[1]- صدر الدّين أبي الحسن علي: أخبار الدولة السلجوقية، تحقيق: محمّد إقبال، نشريات كليّة فنجاب، لاهور، 1933، ص ص، 1-2.

[2]- نفسه، ص ص، 2-3.

[3]- نفسه، ص 4.

[4]- نفسه، ص 11-12.

واستحقاق، واجتمع بعد ذلك الأخوان"جغرب بك" و"طغرلبك" مع عمهما موسى بن سلجوق ومع أبناء أعمامهم وكبار قومهم وقواد جنودهم وتعاهدوا على الإتحاد والتعاون فيما بينهم"[1].

واصل السلاجقة توسعاتهم في فارس بهدف القضاء على نفوذ البويهيين، فاستولوا على كل ولاية خراسان، حيث عينوا على كل ناحية منها واحداً من كبارهم، فاتخذ "جغري بك" الذي كان أكبرهم من مدينة "مرو" داراً لملكه وضم إليه أكثر أراضي خراسان، ونصب "موسى كلان" على بُست وهرات وسجستان وما جاورها، وأخذ "قاورد" أكبر أولاد "جغري بك" على الطبسين ونواحي كرمان، وإستولى "طغرلبك" رفقة أخوه من أمه"إبراهيم بن يغال" وابن أخيه "ياقوني" بن جغري بك داود، وابن عمه"قتلمش بن إسرائيل" على مدينة الري عام(432هـ/1041م)، وإتخذها داراً لملكه، وأرسل إبراهيم لضم مدينة "همذان" في عام(442هـ/1050م)، والأمير ياقوتي للسيطرة على أبهر وزنجان ونواحي اذربيجان، كما بعث الأمير قتلمش لضم جرجان ودامغان[2].

وما إن وصل الخبر إلى الخليفة العباسي القائم بأمر الله، حتى إعترف لهم بكل ما في أيديهم، وبعث رسوله إلى طغرلبك يطلب منه القدوم إلى بغداد لتتشرف دار الخلافة بحضوره[3]. وبذلك الإعتراف من الخليفة العباسي تأسست دولة السلاجقة العظام في خراسان وفارس، وأصبحة جيوشهم على أهبة الإستعداد لدخول مدينة بغداد في أي لحظة.

ثالثا- دخول بغداد سنة 334هـ/945م:

كانت الأوضاع في بغداد أثناء تأسيس السلاجقة دولتهم في خراسان متأزماً، تشوبه حالة من الفوضى وعدم الإستقرار، مما ساعد على تعبيد الطريق أمام مهمة دخول السلاجقة إليها، وضم العراق إلى دولتهم التي أسسوها في خراسان وإيران، وذلك بفعل الخلافات الأسرية داخل البيت البويهي، إذ قامت النزاعات بين الأمراء البويهيين من جهة وبينهم وبين الجند من أخرى، كما انتشرت الفتن بين الجند، ففي عام 424هـ/1033م ظهر التنافس واضحاً بين جلال الدولة البويهي وبين ابن أخيه أبي كالجار، وخُطب لهذا الأخير في بغداد، وغدت المدينة مسرحاً للشغب والمنازعات الأسرية والمذهبية، ولما توفي جلال الدولة في عام 435هـ/1044م، لم يتمكّن ابنه الملك العزيز من الاحتفاظ بالحكم طويلا، مما دفع أبو كاليجار إلى تثبيت أقدامه في الحكم، واستقر في بغداد في عام 436هـ/1045م، وبذلك فقد الأمن في بغداد، وقد شعر الخليفة العباسي بهذا التفكك والإنحلال[4].

---

[1]- محمد بن علي بن سليمان الراوندي: راحة الصدرو وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة: إبراهيم أمين الشواربي وأخرون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1379هـ/1960م، ص 165.

[2]- الراوندي: راحة الصدرو وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، المصدر السابق، ص ص، 167-168.

[3]- نفسه، ص ص، 168-169.

[4]- طقوش، المرجع السابق، ص ص، 238-239.

وما زاد الطينة بلة أن أبو الحارث أرسلان البساسيري، أحد قواد بنى بويه الأتراك المتشيعين، سيطر على بغداد وما جاورها، وأضحى يُخطب له على المنابر في العراق والأهواز، ولم يعد بإمكان أيّ من الخليفة العباسي أو الملك البويهي، إتخاذ أي قرار يتعلق بأمور الدولة إلاّ بموافقته، وقد استعان بالفاطميين بعد النزاع الذي نشب بينه وبين الخليفة في عام 446هـ/1054م، وأمام هذا الوضع المتأزم رأى الخليفة من الضرورة الاتصال بقوة السلاجقة المسيطرة في خراسان بقيادة طخرلبك، لتخلصه من المأزق، لا سيما أن هذه القوة كانت تدين بالمذهب السني، فطلب منهم المساعدة[1].

وفي سنة 437هـ، أمر الخليفة العباسي بأن يخطب باسم طغرلبك على منابر بغداد، وأن ينقشوا اسمه على السّكّة، ولقبوه بـ"السلطان ركن الدولة أبو طالب طغرلبك محمد بن ميكائيل يمين أمير المؤمنين"، وتوجه طغرلبك إلى مدينة بغداد، فخرج الملك الرحيم إلى النهروان ليتعرض إليه، فقبض عليه وقيده وحبسه في قلعة طبرك بالري، وبذلك أراح الرعية من ضلمه[2].

ولما علم الخليفة بقدوم طغرلبك أسرع إلى استقباله حيث هيأ الجيش بأكمله بعدته وأهبته، ووزع الأموال الوفيرة وخلع عليه الخلع الكثيرة، وأرسل له الهدايا الملكية الغالية، من بينها الديباج والحرير والغلمان والجواهر والكنوز، ووضعوا لطغرلبك في الحرم عرشاً فجلس عليه ووقف باقي القوم، وسأله الخليفة عن حاله، ودعا الله أن يطيل عمره، ثم اختار بقعة طيبة أنزلوا فيها عتاده، ونصبوا فيها العرش والتاج، ثم ولاه الخليفة حكم العالم وقرر له السلطنة على ممالك العراقين والجبال(قهستان)[3].

أقام السلطان طغرلبك في بغداد ثلاثة عشر شهراً، عمل في أثنائها على تدعيم النفوذ السلجوقي في عاصمة الخلافة، وتوثيق صلة السلاجقة بالخلافة، كما عملت الخلافة من جانبها على تقوية الروابط بينهما، فتزوج الخليفة القائم من أرسلان خاتون ابنة داوود جفري بك، أخ طغرلبك، في عام 448هـ/1051م، فتم بذلك التقارب بين البيتين العباسي والسلجوقي، واستقر نفوذ السلاجقة في العراق[4].

في أثناء هذه الإنتصارات للسلاجقة قام البساسيري، من مقره الرحبة بعدة حركات عسكرية وسياسية لإخراج السلاجقة من بغداد، حيث تمرد على الخليفة في سنة 449هـ/1052م، فاستدعى الخليفة طغرلبك من جديد لنقضه من المأزق، ففر البساسيري رفقة جنده إلى الشام، وحدث في نفس الوقن أن تخلى "ابراهيم بن ينال" عن عمه طغرلبك فر إلى همذان وطلب الملك لنفسه، فتعقبه السلطان طغرل وقضى عليه، ولما علم البساسيري بإنشغال طغرلبك عاد إلى بغداد، وانضم إليه حاكم الموصل "قرواش بن المقلّد"، و"ابن مزيد جدد بي" و"قريش بن بدران"،

---

[1]- طقوش، المرجع السابق، ص ص، 238-240.

[2]- محمد بن علي بن سليمان الراوندي: راحة الصدرو وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، المصدر السابق، ص 169.

[3]- نفسه، ص 170.

[4]- طقوش، المرجع السابق، ص. 240.

وحاصروا الخليفة في بغداد وقتلوا رئيس الرؤساء، وإستولوا على المدينة وخطبوا لخليفة مصر الفاطمي، فبعثوا برسائل مجدداً إلى السلطان السلجوقي طغرلبك، جاء فيها:"بحق الله أدرك الإسلام فقد ساد العدو اللعين وأخذ ينشر مذهب القرامطة"[1].

لبى السلطان طغرلبك الأمر وتوجه إلى العراق بجيش كثير اهتزت الأرض لوطأته واضطربت الجبال من كثرته، فقبض على البساسيري وقتله وعلّق رأسه على جانب من جوانب بغداد، وأرجع الخليفة إلى عرشه في ذي الحجة سنة 451هـ/1059م، فلقبه "ركن الدين"[2]. وبذلك استتب الأمر للسلاجقة من جديد في العراق، وأصبحوا يمثلون ظاهرة جديدة في حياة دولة الخلافة العباسية، فقد اختلف موقفهم تجاه الخلافة عن موقف البويهيين، بشكل عام[3].

رابعا- علاقتهم الخلافة:

ظلت العلاقات الطيبة قائمة بين الخلافة العباسية والسلطة السلجوقية ما يقرب عن ثمانية عشر عاماً، منذ أن أعلن طغرلبك قيام دولته في منطقة خراسان، والراجح أن الظروف السياسية التي أحاطت بالطرفين هي التي حتمت على أن تكون العلاقة وثيقة، لكن سرعان ما نشب الخلاف بين الطرفين، بسبب محاولة طغرلبك الاستئثار بجميع السلطات في العراق، حتى تلك المتعلقة بالخليفة، بالإضافة إلى أنه حمل موارد العراق المالية إلى الخزينة السلجوقية، وأناب عنه في إدارة بغداد قبل عودته إلى عاصمته الري، موظفاً سلجوقياً اسمه "العميد"، كما عيّن موظفاً آخر لحفظ الأمن يعرف بـ"الشحنة"، وترك في بغداد حامية عسكرية[4].

ومما زاد الأمر تفاقماً بين الطرفين هي محاولة السلطان السلجوقي طغرلبك ربط علاقات مصاهرة مع الخليفة العباسي، حيث أوكل إلى عميد الملك في بغداد ليعقد زواجه على سيدة النساء أخت الخليفة العباسي[5]. ويبدو أن إقدامه على هذه الخطوة كان وسيلة لتدعيم نفوذه السياسي برابطة أدبية قوية مع الخلافة العباسية، والراجح أن السلاجقة طمعوا في منصب الخلافة، إلاّ أنهم افتقروا إلى شرط النسب باعتبارهم أعاجم، فاهتدى طغرلبك إلى فكرة الزواج من أخت الخليفة أملاً في أن يلد منها ولداً يكون له شرعية النسب وقوة السلاجقة ما يوصله إلى سدّة الخلافة[6].

---

[1]- محمد بن علي سليمان الراوندي: راحة الصدور، المصدر السابق، ص ص، 171-172.

[2]- نفسه، ص 175.

[3]- طقوش، المرجع السابق، ص 242.

[4]- نفسه، 242.

[5]- محمد بن علي بن سليمان الراوندي: راحة الصدرو وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، المصدر السابق، ص 176.

[6]- طقوش، المرجع السابق، ص 143.

هذا ما جعل هذا الأخير يشتاط غضبا، ولكنه إستجاب إلى الأمر الواقع في آخر المطاف، وأرسل قاضي قضاة بغداد مع أخته إلى طغرلبك في مدينة تبريز ليعقد زواجها هناك، وخرج السلطان من مدينة تبريز قاصداً مدينة الري ليتم الزفاف فيها باعتبارها دار ملكه ولكنه توفى في الطريق إثر وعكة أصابته، في رمضان سنة 455هـ، فأرجعت السيدة إلى بغداد[1].

ولما آلت سلطنة السلاجقة العظام إلى ألب أرسلان في عام 455هـ/1063م[2]، ظلت الأوضاع كما هي عليه من استئثار السلطان السلجوقي بالسلطة دون الخليفة، ففي عام 458هـ/1066م عيّن السلطان ابنه ملكشاه وايّاً للعهد من بعده، وأمر بأن يخطب له في جميع البلاد التي يحكم فيها، ومنها بغداد، دون أن يأخذ رأي الخليفة، في ذلك التعيين وفي تلك الخطبة، ولم يبلّغه رسمياً إلاّ في عام 464هـ/1072م، أي بعد مضي ستة سنوات، كما عيّن في نفس العام أبا العلاء محمد بن الحسن وزيراً له دون علم الخليفة أيضاً، هذا مأدى إلى إستياء هذا الأخير، واعتبره تدخلاً في شؤون الخلافة ورفض إستقبال وزير السلطان السلجوقي[3].

تعرّض الخليفة في عهد السلطان ملكشاه، لكثير من الامتهان، وتجرّأ بعض نواب السلطان على مشاركته في بعض مظاهر سيادته الدينية، فضرب سعد الدولة كوهرائين شحنة بغداد، الطبول على باب داره رغماً عن الخليفة، وعزم السلطان ملكشاه في أواخر حكمه على طرد الخليفة من بغداد، ونقل العاصمة إلى مدينة أصفهان، تمهيداً لتعيين ابن ابنته خليفة[4].

تعرضت دولة السلاجقة العظام بعد وفاة السلطان ملكشاه في سنة 485هـ/1092م للضعف والإنقسام بسبب النزاعات التي نشبت بين أولاده، ووقفت الخلافة موقف المتفرج من هذه النزاعات، وتأرجحت باعترافها بين مراكز القوة أحياناً أخرى، وكانت تمنح إعترافها لأكثر من شخص في وقت واحد، وفي الأغلب كان الأقوى، في محاولة منها لضرب القوى السلجوقية بعضها ببعض، وقد انتهز الخليفة المسترشد ومن أتى بعده هذه الفرصة، وأخذوا يعملون على استعادة ما كان للخلافة من سلطات، وقد استطاع الخليفة المقتفي في السنوات الأخيرة من حكمه، أن يحقق جزءاً من الهدف الذي أخفق فيه الخليفة المسترشد[5].

---

[1]- محمد بن علي بن سليمان الراوندي: راحة الصدرو وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، المصدر السابق، ص ص، 177-178.

[2]- هو السلطان عضد الدولة أبو شجاع ألب أرسلان محمد بن داود بن ميكاييل بن سلجوق، إعتلى العرش في ذي الحجة عام 455هـ بعد أن عزل الأمير سليمان بن طغرلبك من العرش والذي كان طفلا صغيراً، وكانت مدة ملكه 12 سنة، وقد عاش من العمر 34 عاما، حيث ولد في ليلة الجمعة 2 محرم عام 431هـ.(ينظر، الراوندي، راحة الصدرو وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، المصدر السابق، ص 185.)

[3]- طقوش، المرجع السابق، ص 243.

[4]- نفسه، ص 244.

[5]- نفسه، ص 244.

ففي سنة 436هـ/1141م انهزم السلطان سنجر آخر السلاطين السلاجقة العظام أمام القراخطائيين، وتجددت الخلافات السلجوقية الأسرية في كل من خراسان والعراق في سنة 541هـ/1146م، وحصن الخليفة بغداد حيث طلب من العامة بجمع السلاح وحفر الخنادق حول بغداد وأصلح أسوارها، ويعتبر عام 434هـ/1148م البداية الفعلية لانتعاش الخلافة العباسية، حين عجز حاكم العراق مسعود السلجوقي عن إخضاع أمراء الأطراف، وبموت هذا الأخير في سنة 547هـ/1152م فقدت الدولة السلجوقية في العراق، ركناً أساسياً وزالت سلطتهم بالعراق، فقد عمد الخليفة المقتفي إلى الإستيلاء على ممتلكات شحنة بغداد، وعزل جميع الموظفين الذين ولاّهم السلطان السلجوقي، وعين بدلاً عنهم موظفين تابعين له[1]، ثم جهز جيشاً حارب به شحنة بغداد، وولّى في عام 551هـ/1156م سليمان شاه بن محمود سلطاناً على العراق، وعقد لأخيه ملكشاه ولاية العهد، ثم سيرهما إلى همذان لقتال السلطان السلجوقي محمد الثاني[2].

ازدادت أوضاع دولة السلاجقة تدهوراً بعد وفاة السلطان محمد الثاني في سنة 554هـ/1159م، وقد حاول خلفاؤه إعادة نفوذهم السابق، ولكنهم فشلوا حيث زالت دولة السلاجقة العظام في سنة 552هـ/1157م بعد مقتل السلطان سنجر على أيدي الغز، في حين زالت دولة سلاجقة العراق في سنة 590هـ/1194م بعد مقتل السلطان طغرل الثاث على يد علاء الدين تكش خوارزمشاه، ونتيجة لهذا التطور دخلت الخلافة العباسية في فترة استقلال فعلي دامت حتى عام 656هـ/1258م[3].

المحاضرة الحادية عشرة

توسع المغول على حساب العالم الإسلامي

(616-656هـ/ 1219-1258م).

أولا- المغول الأصل والموطن:

كانت القبائل المغولية البدوية تقطن في الأراضي المقفرة تزيد مساحتها طولا وعرضاً عن مسيرة سبعة أو ثمانية أشهر، تحدها من الناحية الشرقية حسب رواية المؤرخ المغولي عطا ملك جويني بلاد الخطا، ومن الناحية الغربية بلاد الأويغور، ومن الشمال بلاد القيرغيز وسلنكاى، ومن الجنوب التانكوت والتبت[4]. أي أن المغول كانوا

---

[1]- طقوش، المرجع السابق، ص 245.

[2]- البنداري، المصدر السابق، ص 382.

[3]- طقوش، المرجع السابق، ص 246.

[4]- علاء الدين عطا ملك الجويني: تاريخ فاتح العالم جهان كشاي، تحقيق وتصحيح: محمد عبد الوهاب القزويني، ترجمة: السباعي محمد السباعي، مج.1، ط.1،المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2007م،ص 62.

يعيشون في الهضبة المعروفة باسم "هضبة منغوليا" شمال صحراء جوبي، وهي تمتد في أواسط آسيا جنوبي سيبريا وشمال التبت وغربي منشوريا، وشرقي التركستان بين جبال التاي غرباً وجبال خنجان شرقا[1].

لم يعرف المغول قبل مجيء جنكيزخان رئيس أو حاكم قوي وحد القبائل الكثيرة التي كانت تقطن في منطقة منغوليا، حيث كانت كل قبيلة أو اثنتين تعيشان منفصلتين لا تتفقان فيما بينها، شعارها النزاع والخصام الدائم، وتعتبر السرقة والسطو والفسق والفجور من الشجاعة والبطولة، ملابسهم مصنوعة من جلود الحيوانات، ويقتاتون على أكل لحوم الكلاب والفئران والحيوانات الميتة الخرى، حيث يعيشون في شظف من العيش، ونظرا لتناحر القبائل المغولية فيما بينها أضعف قوتها العسكرية والسياسية، مما جعل قبائل الخطا التغلب عليهم ويحصل منهم على الأتاوات وعلى ما يريدون[2].

ويمكن تقسيم القبائل المغولية في أوائل القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي إلى قبائل رعاة في جوار المراعي، وإلى قبائل صيادين يصيدون السمك من الأنهار والحيوانات من الغابات، وهؤلاء يزاولون مهنة الصيد في صور مختلفة: فهناك فئة تعكف على صيد الأسماك، وآخرى من سكان الغابات تركب الزحافات من الخشب أو من العظم، وتطارد الحيوانات ذوات الفراء كالسمور، وتتجر بفرائها، وفئة ثالثة تطارد الظباء بواسطة الحبال أو النبال، والقبائل التي كانت تسكن منهم مناطق السهوب هي قبائل رحالة تنتقل طلبا للمراعي، وخلال رحلاتهم ينصبون خيامهم المصنوعة من اللباد، بينما القبائل التي كانت تسكن الغابات، فكانت تقطن في أكواخ مصنوعة من ألياف الأشجار[3].

وبين هذه القبائل كانت هناك طائفة صغيرة اسمها "قيات" وتعرف باسم "بُورُجقين"، هذه الطائفة بعينها هي التي نشأ فيها جنكيزخان، مؤسس أعظم إمبراطورية رآها العالم[4].

وكانت قد حققت لنفسها مكانة ذات أهمية خاصة بين القبائل الأخرى في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، لدرجة أن قائدها "قَبُول"، اتخذ لقب خاقان، وأصبح قوياً، بحيث أخذ في تنفيذ حملات عسكرية إلى مسافات بعيدة داخل الأراضي الصينية، التي كانت تحكمها أسرة أجنبية من سلالة "جورجن/Jurjen"، والمعروفة

---

[1]- فؤاد عبد المعطي الصّياد: المغول في التاريخ، ج.1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 1980م، ص ص، 30-31.

[2]- الجويني، المصدر السابق، مج.2، ص 62.

[3]- الصياد، المرجع السابق، ج.1، ص 32.

[4]- الجويني، المصدر السابق، مج.2، ص 74.

في الوساط الصينية بـ"أسرة الكن أو تشن" أي السلالة الذهبية، وقد شن عليها "كتولا/Kotula" ابن قبول أيضاً حرباً ضد هذه الأسرة، فكسب بذلك شهرة واسعة النطاق نظراً لأعماله البطولية[1].

ثانيا- توحيد جنكيزخان القبائل المغولية وتأسيس الدولة:

الإسم الحقيقي لجنكيزخان هو تيموجين[2]، وتكر الروايات أنه في وقت ولادة تيموجين سار أبوه يسوكاي بهادر لمحاربة التتار، وقد واتاه الحظ فانتصر عليهم، وقضى على ملكهم تيموجين، واستولى على أمواله وأملاكه، ولما عاد إلى المنزل، علم بنبأ ولادة ابنه، فتفاءل بتلك المناسبة، وسمى ابنه "تيموجين"[3]، ولد في منغوليا عام 549هـ/1155م على الضفة اليمنى لنهر الأونون في منطقة "دولون بولداق/Dulun Boldaq"، والده رئيس قبيلة قيات المغولية "يوسكاي بهادر" وأمه من قوم "أولقونت" تسمى"أولون فوجين" تدعى "أولون أيكه"[4].

وعندما توفى يسوكاي بهادر كان ابنه تيموجين في الثالثة عشر من عمره، فانفض عنه أكثر الأقارب والأتباع، واستغلت قبيلته صغر سنه ورفظت طاعته، وأعلنت التمرد عليه، كما تخلى عنه من بقى من أتباع أبيه وانضموا إلى قبائل التايجوت، فاضظر رفقة المجموعة الصغيرة التي بقت معه أن تعيش على صيد الحيوانات والأسماك، وعاش رفقتهم فترة من الزمن حياة صعبة[5].

وقد تعرض تيموجين وإخوته وأمه لغارات التانجوت، الذين حرصوا على إذلالهم، فلم يسع تيموجين وأسرته إلا أن ينتقلوا بمعسكرهم إلى جبال بروقان كالدون وإلى جبال كنتاي، الذي كان له من القداسة عندهم، ما حمل تيموجين على الإعتقاد بأنه هو الذي حماه وعَصَمه من الأعداء، وكل ما بقى معهم سوى تسع أفراس، وقع منها ثمانية في أيدي المغيرين في الطريق[6]. ولكنه استطاع أن يستردها بمساعدة صديقه "بو أورتجو/ Bo Ortchou"، ابن أحد الرؤساء، فصار منذ ذلك الوقت، أخلص ملازمين لتيموجين، ومن خيرة قواده[7].

فكر تيموجين في الزواج لاسيما أن أباه عقد له خطبة على "بورتة" ابنة زعيم القنقرات النازلين على نهر كيرولين، ولم يَلبث أن انتقل تيموجين رفقة سائر أفراد أسرته إلى منبع نهر كيرولين، وارتفع شأنه بعد أن نجا من

---

[1]- فلاديمير ستوف: حياة جنكيز-خان الإدارية والسياسية والعسكرية، ترجمه من الروسية إلى الإنجليزية: الأمير د. س. ميرسكي، ترجمه من الإنجليزية إلى العربية: سعد بن محمد حذيفة الغامدي، ط.1، طبع على نفقة أبو حذيفة محمد، الرياض،1403هـ/1983م، ص ص، 23-24.

[2]- الجويني، المصدر السابق، مج.2، ص 74.

[3]- الصياد، المرجع السابق، ج.1، ص 41.

[4]- نفسه، ج.1، ص ص، 39-40.

[5]- الصياد، المرجع السابق، ج.1، ص ص، 41-42.

[6]- الصاوي محمد الصاوي: جنكيزخان فاتح العالم، دار طيبة للطباعة، الجيزة، مصر، 2012م، ص ص، 73-74.

[7]- الصياد، المرجع السابق، ج.1، ص 45.

مؤامرات التانجوت وأضحى الرجل القوي الذي تنشده سائر القبائل، ما حمله على التفكير في الإفادة من مركزه القوي، بأن يعقد معاهدات واتفاقيات خارج قبيلته، وقد أسهم أبوه يسوكاي في توطيد مركز زعيم الكرايت، حتى صار من أقوى ملوك الإستبس، وقد حرص تيموجين في السير على نهج أبيه بالتحالف مع زعيم الكرايت[1].

وقد كان أونك خان هو السيد على قبائل ساقيز(النايمان) والكرايت التي كانت من بين أقوى القبائل عدة وعتادا وعدداً في المنطقة، وكان تيموجين كثير التردد على أونك خان بحكم قرب مضارب الطرفين، وتشكلت بينهما علاقة ود ومحبة، ولما رأى أونك خان صواب رأي تيموجين وسداد فكره وشجاعته أعجب بصرامته وشهامته، فبالغ في إكرامه وإعزازه ورفع من منزلته عنده حتى فوض إليه إدارة شؤون مملكته كلها، فاستقامت أمور الجيوش، ولكن أبناء أونك خان ومقربوه أوقعوا بين الطرفين، وخوفوه من تيموجين، حتى إرتاب منه فاتفق مع خاصته بالغدر به ليلا، بأن يهجموا عليه رفقة جنده في وقت السحر، إلاّ أن الحض كان حليف تيموجين فقد هرب طفلان من أونك خان وأخبراه بالأمر، فهرب على الفور رفقة أهله وقومه وتركوا خيامهم فارغة، ولما أراد أونك خان تنفيذ المهم وجد الخيام خاوية على عروشها، وقد جد أونك خان في طلبه إلى وجده وإلتقى الجمعان في معركة بالقرب من عين ماء يقال لها "بالجونة"، فإنتصر فيها تيموجين وغنم غنائم كثيرة، في سنة 599هـ[2].

بعد المعركة كافأ تيموجين الغلامين بحيث منحهما لقب ترخان، وكان هذا اللقب يعفى حامليه من جميع المؤن والواجبات، وأن تسلم إليهما كل غنيمة يغنمها الجيش، كما سمح لهما بالدخول عليه في كل وقت يشأن وبدون إستئذان، كما محهما مجموعة من القوات تأتمر بأمرهما وأمدهما بالكثير من الحيوانات والجياد ووسائل الزينة، كما أصدر أوامره بأن لا يحاسبا على الذنوب التي يقترفانها مهما كثرت أو صغرت، وأن يبقى هذا الإمتياز في نسلهما حتى الجيل التاسع[3].

لم يقف أونك خان مكتوف الأيدي بعد هذه الهزيمة ضد تيموجين، فقد أرسل جيشه ليتتبع تيموجين والتقى الطرفين في معركتين فاصلتين، انهزم فيهما أونك خان مرة أخرى، بل تم أسره رفقة أسرته، ثم قتل في الأخير[4].

زاد شأن تيموجين بعد هذا الإنتصار وأرسل رجاله إلى مختلف القبائل المجاورة لتدخل تحت إمرته، فضم كل من: الأويرات والقنقورات، فشملهم بعنايته ورعايته، وأما من آثر التمرد والعصيان عليه، فقد سلط عليه سيوف الدمار والفناء، حتى أذعنت لسلطانه وأمره جميع القبائل بمنغوليا[5].

لم يكن إخضاع تيموجين القبائل إلى سلطته سهلا، بل تطلب منه هذا الأمر جهد ووقت كبير، حيث انتصر

---

[1]- الصاوي محمد الصاوي، المرجع السابق، ص ص، 74-75.

[2]- الجويني، المصدر السابق، مج.2، ص ص، 74-76.

[3]- نفسه ، مج.2، ص 76.

[4]- نفسه، مج.2، ص 76.

[5]- نفسه، مج.2، ص 76.

أول الأمر على قبيلة التايجوت التى كان قد لقى من زعيمها الهوان والعذاب، وبذلك يكون بسط سيطرته على منطقة شاسعة تمتد شمال صحراء جوبي حيث مضارب عدد كبير من قبائل التتار، بعد ذلك تطلع لإخضاء سائر القبائل الأخرى[1]، فبدأ بقبيلة النايمان، وذلك بعد أن طلب حاكمها "تايانك خان" من رئيس قبيلة الانكوت، الإنضمام إليه في حربه ضد تيموجين، غير أن هذا الأخير أرسل إلى تيموجين يطلعه بالأمر، فشن تيموجين حربا عليه في سنة 600هـ/1203م، فقتله وأسر زوجته، بعد ذلك شرع يؤلب القبائل الواحدة منها على الأخرى، ويتحالف مع القوية منها على الضعيفة، حتى سيطر على منطقة التبت وشرقي تركستان[2].

بعد تعاضم مكانة تيموجين بين القبائل في منطقة منغوليا، إجتمع جمع غفير منهم في سنة 600هـ/1203م، ونصبوه حاكما عليهم ولقبوه بـ"جنكيزخان"، ومنعناه أعظم الحكام أو إمبراطور البشر[3]، وخاطبوه قائلين:"لقد قررنا بأن ننادي بك خاناً، وسوف نكون في المقدمة عند خوض المعارك ضد عدد لا حصر له من الأعداء، فما نسبيه من النساء الجميلات، والفتيات الحسناوات، وما يقع في ايدينا في الجياد الأصلية، سوف نبذله لك، وما نحصل عليه من الصيد، سوف نجعله لك، فإذا حدث أن عصينا أوامرك أثناء الحرب أو برمنا بك أثناء السلم، فلتفرق بيننا وبين زوجاتنا وتنتزع منا متاعنا، ولتهجرنا ولتجعلنا منبوذين"[4].

وبذلك يمكن إعتبار سنة 600هـ/1203م سنة بداية دولة تيموجين الفعلية، ولو أنه لم يحصل على لقب خان إلا في سنة 603هـ/1206م حين أصدر دستوره الشهير المعروف بالياسا[5].

مباشرة بعد جلوس جنكيزخان على عرش القبائل المغولية شرع يوسع دولته على حساب الأقاليم المجاورة، حيث أرسل رسله إلى ملك الختاي ليدخل تحت طاعته، ولما رفض تحرك بنفسه رفقة جيشه وقبض على ملكهم التون خان واستولى على جميع أراضيه[6]. بعد ذلك تحرك لضم أراضي أتراك الأويغور، المعروفين بـ "أيدي قوت" ومعناه سيد الدولة، وكان أميرهم "بارجوق" تابع إلى حاكم قوم قراختاي(الخطا) المتربعين على بلاد ما وراء النهر وتركستان، ولكن حاكمهم "شاوكم" سلك فيهم سبيل الظلم، ولما شاع للأويغور إنتصارات جنكيزخان على بلاد الختاي، فاستنجدوا به على ضلم الخطا لهم، فسارع جنكيزخان إلى نصرتهم وضم أراضيهم إلى أراضي دولته الفتية[7].

وباستلاء جنكيزخان على أراضي الخطا الممتدة من الصين إلى بلاد ما وراء النهر، تكون دولته قد تاخمت

---

[1]- الصياد، المرجع السابق، ج.1، ص ص، 45-46.

[2]- نفسه، ج.1، ص ص، 47-48.

[3]- نفسه، ج.1، ص 48.

[4]- الصاوي محمد الصاوي، المرجع السابق، ص ص، 75-76.

[5]- الصياد، المرجع السابق، ج.1، ص ص، 48-49.

[6]- الجويني، المصدر السابق، مج.2، ص 77.

[7]- نفسه، مج.2، ص ص، 81-82.

الخوارزمية المسلمة بقيادة خورانشا(خوارزمشاه)[1].

بعد بسط جنكيزخان نفوذه على جميع القبائل في منطقته وسيطر على جل الأراضي المغولية، وأسسل حكومة واحدة، تلف للسيطرة على الصين، خاصة أن أسرة كين في الصين الشمالية، كانت لا تكف عن التدخل في شؤون منغوليا، فتحرض القبائل الواحدة منها ضد الأخرى، فأراد جنكيزخان وضع حد لهذا الأمر، فحشد معظم قواته، وخرج بنفسه على رأس هذه القوات، فاشتبك مع الصينيين لأول مرة في سنة 608هـ/1211م، واستطاع إحراز جملة من الانتصارات، وخضعت له المناطق الواقعة في داخل سور الصين الكبير[2].

وفي سنة 610هـ/1213م أعاد الكرة حيث تحرك بثلاث جيوش جرارة كان على رأس الجيش الرئيسي منها، وقاد أبناؤه الثلاثة: جوجي وجغطاي وأوكتاي الجيشين الباقيان، فأحرز نجاحاً كبيراً ثم إضطر للتوقف عند مرتفعات شانتونج بعد الشعور بالإعياء نتيجة المقاومة الصينية، فأرسل رسالة إلى إمبراطور الصين يعرض عليه الصلح، فتم له ذلك في سنة 611هـ/1214م، فعاد جنكيزخان على إثرها إلى منغوليا لإخماد بعض التمردات[3].

بمجرد سماع الإمبراطور الصيني "واى وانج" بمغادرة جنكيزخان نقض الصلح فعاد جنكيزخان من جديد وإستولى على بيكين عاصمة الإمبراطور، فغنم غنائم كثيرة، والشيء الأهم أن هذا النصر أحدث دويا هائلاً في الممالك الإسلامية، وزادت هيبة جنكيز في نفوس الكثير، وأراد الغازي المغولي إكمال توسعاته في الصين ولكنه عدل على الأمر وعاد إلى منغوليا سنة 613هـ/1216م[4].

ثالثا- توسع جنكيزخان على حساب العالم الإسلامي:

أقرب الدول المجاورة لجنكيزخان بعد الصين هي دولة خوارزمشاه الواقعة على السهول الكيبتشاكسية، وكانت في الأعوام 1097-1231م بموازاتها بالدول الأخرى من أقواهم، وفي السنين العشرة الأخيرة من وجودها خلال القرن السابع الهجرب/ الثالث عشر الميلادي، كانت تضم المساخة الممتدة من: ما وراء النهر، وخراسان، ومازندان، وقرمان، والعراق الفارسي، وأذربيجان، وسيستان، وغازني، وعندما برزت على الساحة السياسية الدولة المغولي كقوة عظمى، كان علاء الدين محمد خوارزمشاه، سيطر على بخارى في سنة 1207م، وعلى مدينتي: غيرات وخوارزم في سنة 1208م، وفي العام الموالي وصل إلى عاصمة غورخان توشي زعيم الخطا

---

[1]- الجويني، المصدر السابق، مج.2، ص 98.

[2]- الصياد، المرجع السابق، ج.1، ص ص، 51-52.

[3]- نفسه، ج.1، ص 52.

[4]- نفسه، ج.1، ص 53.

بتركستان[1].

ذكرنا سابقاً أن قوات جنكيزخان جاورت أملاك الدولة الخوارزمية على أثر القضاء على رئيس الخطا "كوجلك خان" في سنة 615هـ/1218م، وقبل ذلك بثلاث سنوات، حدثت مناوشات حربية بين المغول وبين قوات سلطان الدولة الخوارزمية، وكانت هذه الأخيرة بقيادة إبنه جلال الدين منكبرتي، الذي أنقض بشجاعة المسلمين من الهزيمة، ولم تكتمل المعركة بسبب إنسحاب المغول، وكانت هذه الموقعة أول إتصال بين القوتين، وبالرغم من أنها لم تكتسى الطابع الرسمي ولم تؤد إلى نتائج حاسمة، إلا أنها سمحت للسلطان الخورزمي الإطلاع على مدى مقدرة الجنود المغول على خوض غمار الحروب، ولا شك أنها تركت أثراً قوياً في نفسه[2].

بعد إحراز جنكيزخان النصر على الجيوش الصينية واستولى على عاصمتهم بكين في عام 612هـ/1215م، أراد السلطان الخوارزمي التحقق من الأمر، ومدى صحة هذه الأخبار، لذلك قرر إرسال سفارة إلى الصين، كان على رأسها السيد الأجل بهاء الدين الرازي، حيث اجتازوا تركستان الشرقية ووصلوا إلى أطراف بكين، وقد شاهدوا من مظاهر الخراب والدمار، والمذابح الرهيبة، في كل مكان، وبدت لهم على مسافة بعيدة من بكين أكمة عالية بيضاء، ضنوها جبال تكسوها الثلوج ولكن في واقع الأمر ما هي إلاّ عظام الناس الذين قتلهم المغول، ولما تقدموا مرحلة أخرى وجدوا الأرض سوداء لزجة، بسبب ما اختلط بها من دماء الناس، ثم وصلوا إلى معسكر جنكيزخان، فاستقبلهم بأبلغ مظاهر الحفاوة والتكريم، وحملهم رسالة ليبلغوها إلى السلطان، مؤداها أن جنكيزخان يدعوك لتبادل الرسل والتجار وأن تضل القوافل تحمل نفائس ما في الدولة الخوارزمشاهية، والعكس صحيح[3].

ويذكر الصياد أن الرسالة جاء فيه:**"كما أن جنكيزخان يعتبر نفسه ملك الشرق، فإن خوارزمشاه أيضا ملك الغرب، وأنه يرجو أن تكون العلاقة بين الطرفين علاقة وفاق، وأن تسود العلاقات التجارية بين الطرفين، بحيث تستمر قوافل التجار تروح وتجئ بين الطرفين"**[4].

وقد كان جنكيزخان يهدف إلى تعزيز أواصر الصداقة بين الدولتين، ويهمه بصفة خاصة حرية التجارة وتبادلها بين الشرق والغرب على أوسع نطاق، وأن يتهيأ للتجار الحرية في الانتقال من إقليم إلى آخر، ولم يكن يفكر على الإطلاق في ذلك الوقت في فتح أقاليم الدولة الخوارزمية، وإذن فليس ثمة ما يدعو إلى الارتياب في هذه

---

[1]- ي-إ- كيتشانوف: خياة تيموتشجين(جنكيزخان) الذي فكر في السيطرة على العالم، ترجمة: طلحة الطيب، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، 1426هـ/2005م، ص 273.

[2]- الصياد، المرجع السابق، ج.1، ص ص، 95-96.

[3]- منهاج الدين عثمان بن سراج الدين الجوزجاني: طبقات ناصري، ج.1، ترجمة عن الفارسية: عفاف السيد زيدان، المركز القومي للترجمة،القاهرة- مصر، 2013م، ص 468.

[4]- الصياد،المرجع السابق، ج.1، ص ص، 97-98.

العبارات[1].

وتنفيذا لهذه السياسة أوفد جنكيزخان من قبله ثلاثة من التجار المسلمين، هم: محمود الخوارزمي وعلي خواجه البخاري، ويوسف كنكا الأترراري، وحملهم بالهدايا الثمينة، وفي سنة 615هـ/1218م وصلوا إلى بلاط السلطان الخوارزمي في مدينة بخارى، وقد سلم هؤلاء الرسل الرسالة إلى السلطان والتي جاء فيها:**"ليس يخفى علي عظيم شأنك، وما بلغت من سلطانك، وقد علمتُ بسطة ملكك وإنفاذ حكمك في أكثر من أقاليم الأرض، وأنا أرى مسالمتك من جملة الواجبات، وأنت عندي مثل أعز أولادي، وغير خاف عليك أيضاً أنني ملكت الصين وما يليها من بلاد الترك، وقد أذعنت لي قبائلهم، وأنت أخبر الناس بأن بلادي مثارات العساكر ومعادن الفضة، وأن فيها لغنية عن طلب غيرها، فإن رأيت أن تفتح للتجار في الجهتين سبيل التردد، عمت المنافع وشملت الفوائد"**[2].

بعدما تلا السفراء الرسالة على السلطان، اشتد غضبه لأنها تحمل في طياتها طابع التهديد والوعيد، إذ أن جنكيزخان قد أهانه حين اعتبره في منزلة الابن، ومعناه التبعية للخان المغولي، فمن المعروف أن العلاقة بين الأب والإبن إنما تدل على أنواع مختلفة من التبعية، وكانت هذه الرسالة أول صدمة حقيقة صدمت سياسة السلطان محمد الخارجية، فبعد أن كان صوته يجلجل ويدوي كالرعد بين أمراء المسلمين وحكامهم، وبعد أن كان مسموع الكلمة، مرهوب الجانب، غير مطموع فيه، أصبح بين يوم وليلة عرضة لتهديد العاهل المغولي في أقصى الشرق[3].

وبعد أن وقف السلطان على ما جاء في هذه الرسالة، استدعى ليلاً محمد الخوارزمي من دون الرسل، وقال له: إنك رجل خوارزمي ولا بد لك من موالاتنا، ومناه بالوعود ومنحه جوهرة ثمينة، وطلب منه أن يكون عيناً له على جنكيزخان، فلم يسعه هذا الأخير إلا مداراته بالموافقة خوفاً من بطشه، ويتجنب نقمته، ثم سأله: أصحيح أن جنكيزخان استولى على مدينة طمغاج(الصين)؟ فأجابه: بنعم، ثم قال السلطان: أنت تعرف ممالكي وبسطتها، وعساكري وكثرتها، فمن هذا اللعين حتى يخاطبني بالولد؟ ثم سأله عن ما مقدار ما معه من العساكر؟ فلما شهد محمود الخوارزمي آثار الغيظ، وتبدل لطف كلام السلطان بالخصام، أعرض عن النصح ومال إلى الإسترحام، وأخذ يراوغه قائلا: إن عسكره لا يرقى إلى عسكرك، وأنك أنت الأقوى، فسر السلطان وقبل عرض جنكيزخان[4]. وقد عقد جنكيزخان عدة إتفاقيات وعهود ومواثيق لتسهيل التجارة بينه وبين علاء الدين خوارزمشاه[5].

لذلك أقام جنكيزخان على الطرق التجارية محافظين يسمونهم "قراقجيان"، تتلخص مهمتهم في المحافظة على الطريق وأمنه، وأمرهم بتأمين سلامة أى فرد من التجار يصل إلى تلك النواحي، وأن يرسلوا ما يرونه ملائما

---

[1]- الصياد،المرجع السابق، ج.1، ص 98.

[2]- محمد بن أحمد النسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق: حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي، ص ص، 83-84.

[3]- الصياد: المغول في التاريخ، المرجع السابق، ج.1، ص 99-100.

[4]- محمد بن أحمد النسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، المصدر السابق، ص ص، 84-85.

[5]- الجوزجاني، المصدر السابق، ج.1، ص 468.

للخان من الأمتعة مع صاحبها[1]. وقد أمّن المغول الطرق التجارية في آسيا الوسطى، وكانت تروح وتجيء بكل أمان، ونظرا إلى أنه لم يكن للمغول أية مدينة يستقرون بها، ولم يكن للتجار والمسافرين سبيل للوصول إليهم، والتعامل معهم، فقد ارتفعت أسعار الملابس والمفروشات فيما بينهم، وظهرت قيمة وفائدة التعامل معهم في البيع والشراء"[2].

لهذه الأسباب اتفق ثلاثة من التجار المتمثلين في: أحمد جندى وابن الأمير حسين وأحمد بالخج، الذهاب إلى أراضي المغول من أجل المتاجرة، وأخذوا معهم أنفس البضائع، فلما وصلت هذه الجماعة من التجار وأعجبهم ما شاهدوه مع بالخج من ثياب ومتاع أرسلوه إلى جنكيزخان، ولما فتح المتاع وعرض بضاعته على الخان وباعوا وإشتروا، ولما هموا بالعودة بعث معهم جنكيزخان 450 من التجار المسلمين ليتاجروا في مملكة السلطان الخوارزمي، وبعث معهم رسالة يخبره فيها:**" أن تجار الديار تلك قد وصلوا إلينا وأنا قد ارجعناهم إليك على النحو الذي سيستمع إليه، وقد سيرنا معهم جماعة من عندنا حتى يحصلوا على كثير من طرائف ذلك الطرف وسيتأكد بعد اليوم الوفاق بين الجانبين وتنحسم مواد النفاق في ذات البين وسيقضى على الفساد وينتهى العناد"**[3].

فلما وصلت القافلة إلى مدينة أترار الداخلة في نطاق حدود الدولة الخوارزمية، قام حاكمها إينال جوق الذي كان يعد من أقارب والدة السلطان الخوارزمي، طمع في القافلة وإستولى عليها غصباً، وقبض على التجار وإحتجزهم، وأبرق إلى السلطان خوارزمشاه يخبره بأن التجاب ما هم إلا جواسيس وإستأذنه في سفك دمائهم، فأجاز له ذلك، فقضى عليهم، وقبل ذلك تمكن أحد التجار السجناء من الفرار من قيده وقصد جنكيزخان وأخبره بما جرى[4].

لما سمع جنكيزخان بالخبر غضب كثيراً، وصعد تلة جبل وأمضى فيها ثلاثة أيام بلياليها، حاسر الرأس وهو يدعو الله:**"يارب إلى لم أكن البادئ هذه الفتنة فامنحني قوة الانتقام"**[5]. ثم هبط من الجبل وأعمل الحكمة في معالجة هذه القضية، بحيث أرسل سفراء إلى السلطان الخوارزمي، ليذكروه بالغدر الذي شجع عليه، ويخبره بتحركه تجاهه بجيشه حتى يستعد للحرب[6].

ثم ورد على السلطان ثلاثة مبعوثين من طرف جنكيزخان، هم: ابن كفرج يغرا الذي كان والده من أمراء السلطان تكش، مصحوباً بشخصين مغوليين، من أجل الصلح وأخبراه رسلة سيدهم، ومفادها:**"أنك أعطيت خطك**

---

[1]- الجوزجاني، المصدر السابق، ج.1، ص 107.

[2]- نفسه، مج.1، ص 107.

[3]- الجويني، المصدر السابق، ج.1، ص 108-109.

[4]- الجوزجاني، المصدر السابق، ج.1، ص 468- 469؛ الجويني، المصدر السابق، ج.1، ص ص، 108-109.

[5]- الجويني، المصدر السابق ، ج.1، ص 110.

[6]- نفسه، ج.1، ص 110.

ويدك بالأمان للتجار وأن لا تتعرض إلى أحد منهم، فغدرت ونكثت، والغدر أقبح، ومن سلطان الإسلام أقبح، فإن كنت تزعم لأن الذي ارتكبه ينال خان كان من غير أمر صدر منك، فسلِّم ينال خان إليَّ لأجازيه على ما فعل، حقناً للدماء، وتسكيناً للدهماء، وإلا فأذن بحرب ترخص فيها غوالى الأرواح، وتتعضد معها عوامل الرماح"[1].

ولما لم يكن السلطان يقدر على تسليم ينال خان لجنكيزخان لأن أغلب أمراءه وقواده من أقارب ينال، فأمر بقتل الرسل، فقتلوا جميعا[2]. فقطع بذلك كل أمل ممكن في التفاهم مع المغول، وأصبحت الحرب بين الطرفين أمراً لا مفر منها، وبهذا جر السلطان على نفسه وعلى الممالك الإسلامية الخراب والدمار[3]، يذكر الجويني:**" وجرت بحار كثيرة من دمائهم عوضا عن كل قطرة أريقت منهم، وصار قصاص كل شعرة واحدة من رؤوسهم مئات الألوف من الرؤوس صرعى مبعثرة على مفارق الطرق، ودفع في مقابل كل دينار قنطار"**[4]. المهم أن خوارزمشاه من وجهة نظر القانون الدولي المعاصر، قد أعطى جنكيزخان أكثر من سبب كاف لإعلان الحرب عليه[5].

وإستعد جنكيزخان للإنتقام، حيث استدعى جيوشه الموجودة في الصين وتركستان، وأخرج سبعمائة علم من المكان الذي كان فيه، ورتب تحت كل علم ألف فارس، وأمر أن يأخذ كل عشرة من الفرسان ثلاثة خراف مغولية من القديد، ووعاء من حديد، وانطلقوا لقتال جيش خوارزمشاه، وقطعوا صحراء جوبي في مدة وجيزة، ووصلوا إلى مدينة أترار، واستولوا عليها بكل سهولة، وسلطوا كل غظبهم على سكانها، ثم توجهوا إلى بخارى واستولوا عليها في سنة 616هـ[6].

بعد ذلك توجه جنكيزخان واستولى على سمرقند سنة 617هـ، وكان السلطان محمد خوارزمشاه قد فر منها وترك قوة عسكرية مكونة من 60 ألف فارس لتحميها، وقتل خلق كثير، وفر السلطان إلى مدينة نيشبور، فعين 60 ألف فارس مغولي ليتتبعوه، ففر السلطان إلى ما زنندران، فتتبعه المغول وهزموه هناك، ففر إلى بحر الخزر، وظل فترة هناك وحيدا طريدا شريدا إلى أن أصابه المرض فحمل على بعير وتوفي في طريقه إلى سمرقند سنة 617هـ، فدفنه ابنه إلى جوار السلطان تكش، وكانت مدة حكمه 21 عاماً[7].

بعد ذلك ذهب جنكيزخان للسيطرة على إقليم خوارزم، الذي أصبح قطب الدين أرزلوشاه السلطان بعد وفاة والده، وقد استعد الجميع، ولكن الجميع استطاعوا دخولها بعد ان غرقوا أهلها في المياه، وتم أسر ولدة السلطان

---

[1]- النسوي، المصدر السابق، ص 87.

[2]- نفسه، ص 88.

[3]- الصياد، المغول في التاريخ، المرجع السابق، ج.1، ص 105.

[4]- الجويني: تاريخ جهنكشاي، المصدر السابق، ج.1، ص 109.

[5]- الصياد، المغول في التاريخ، المرجع السابق، ج.1، ص 109.

[6]- الجوزجاني: طبقات ناصري، المصدر السابق، ج.1، ص 469.

[7]- نفسه، ج.1، ص ص، 470-472.

وأخواته وحرمه وتم إرسالهم إلى طبرستان وما زنداران[1].

حرص جنكيزخان على فتح بقية الأقاليم التي تتكون منها الدولة الخوارزمية في أسرع وقت ممكن، وعلى هذا الأساس أعد حملته لغزو إقليم خراسان، فبعد أن استولى على نخشب وترمذ، عبر نهر جيحون وتوجه إلى بلخ، وخربها، ثم إنتقل إلى الطالقان تاركاً مهمة فتح إقليم خراسان لابنه "تولوي" في سنة 617هـ/1220م، فاستولى على مدينة نسا ومرو ونيسبور وباقي المدن[2].

بعد سيطرة جنكيزخان على بلخ والطالقان سار إلى باميان فقاومه أهلها، ومن طالقان عين القائد "تكجوك" رفقة مجموعة من أمراء الجيش للقضاء على جلال الدين منكبرتي ابن السلطان علاء الدين خوارزمشاه، الذي تزعم المقاومة، فاستطاع التغلب على جيش المغول، فلم علم جنكيزخان بالأمر أدهشه الأمر وحزن من انهزام جيشه كثيراً، فلحق جلال الدين إلى مدينة غزنة فوجه قد غادرها لعبور نهر السند، فانطلق في أثره حتى لحق به على الشاطئ النهر، ودارت بين الطرفين معركة قوي، وبعد بداية إنهزم السلطان جلال الدين عبر نهر السند وفر إلى الهند[3].

بعد هذا النصر من جنكيزخان وجيشه وبحلول فصل الربيع صمم على العودة إلى موطنه الأصلى، وتعجل في العودة بعدما تناهى إلى مسمعه من ارتداد الخطا والتنقوت عن ولائهم له، فأمضى الشتاء في سمرقند، بعد ذلك عقد اجتماع موسع المسمى "قرويلتاي"(الإجتماع الرسمي)، لتقييم الوضع وتوزيع الأراضي المحتلة على أبنائه، ثم غادر حتى وصل إلى صحراء "قلان ناشئ"[4]. ثم أمضى صيف عام 621هـ/1224م في المنطقة المحيطة بنهر ارتش، ولم يعد إلى موطنه الأصلي في منغوليا إلا في سنة 622هـ/1225م، وفي هذا العام نفسه قام بحملته الأخيرة على ولاية التانجوت في شمال التبت، لإخضاع ملكها الذي كان قد ثار على الحكم المغولي، فهزمه وانتصر عليه، بعد ذلك مرض جنكيزخان ومات[5].

المحاضرة الثانية عشرة

إستراتيجية هولاكو في إسقاط بغداد

(656هـ/ 1258م).

أولا- الخطة التي رسمها هولاكو وأخيه أوكتاى خان:

---

[1]- الجوزجاني: طبقات ناصري، المصدر السابق، ج.1، ص ص، 472-473.

[2]- الصياد، المغول في التاريخ، ج.1، ص ص، 129-130.

[3]- الجويني: تاريخ شهنكشاي، المصدر السابق، ج.1، ص ص، 157-158.

[4]- نفسه، ج.1، ص ص، 162-163.

[5]- الصياد، المغول في التاريخ، المرجع السابق، ج.1، ص 137.

إستطاع جنكيزخان وابنه أوكتاي وكيوك من نشر نفوذهم على كل من: بلاد ما وراء النهر وخوارزم وخراسان وفارس والعراق العجمي وأذربيجان وبلاد الكرج وأرمينية، كما وصل نفوذهم إلى شمال الشام بعد الإعتراف بسلطانهم من طرف سلطان سلاجقة الروم، ولم يبق خارج نفوذهم إلا قلاع الإسماعيلية في بلاد قوهستان والعراق في يد الخلافة العباسية[1].

منذ تولى "منكوخان" زعامة دولة المغول وهو يفكر في إسقاط الخلافة العباسية، واجتياح العراق والشام، وقد ساعده بصورة أكبر إخوته الثلاثة الذين كانوا عوناً له في تحقيق أهدافه، فقد ظل أخوه "أريق بوقا" معه في العاصمة "قراقورم"، ليدير معه الإمبراطورية الواسعة، أما الأخ الثاني "قويلاى" فقد أوكل إليه إدارة الأقاليم الشرقية، والتي تضم الصين وكوريا وما جاورها من أقاليم. أما الأخ الثالث "هولاكو" الذي عرف بالثبات والوقار والحزم والحيطة، فقد أصبح مسؤولاً عن إدارة إقليم فارس وما يليها، وأعطي جنود كثيرة، مما سيضعه في مواجهة مباشرة مع الخلافة العباسية[2]

ومنذ تسلم هولاكو قيادة قطاع فارس وهو يعد العدة لإسقاط الخلافة العباسية، وقد كان الإعداد مبهراً جداً، وقد بدأ عمله في التخطيط في سنة 649هـ بحمية وكان يتحلى بالصبر والأناة والإتقان في كل خطوة يخطوها، فمع كثرة جنوده وتفوق عسكره، إلا أنه لم يتسرع في اتخاذ قرار الحرب ضد الخلافة العباسية، بل ظل يعد العدة في صبر حتى مرت عليه خمس سنوات كاملة من 649هـ إلى سنة 654هـ[3].

عمل هولاكو على أربعة محاور رئيسة، بصورة متناسقة، وقد تزيد في فرصة انتصاره على الخلافة العباسية، والجدير بالذكر أن هذا الإعداد – في معظمه- كان يتم علناً على مرأى ومسمع من المسلمين[4].

المحور الأول: الإهتمام بالبنية التحتية، وتجهيز مسرح العمليات، وضمان استمرارية الإمداد والتموين:

1- بدأ هولاكو في إصلاح جميع الطرق المتجهة من الصين إلى العراق، وهي مسافة طويلة، حيث عبد الطرق وأقام الجسور على الأنهار، خاصة نهرا سيحون وجيحون، ووضع قوات لتحمي هذه الجسور، وبذلك استمرار عمليات التموين.

2- جهز مجموعة ضخمة من الناقلات العملاقة صنعت خصيصاً لحمل أدوات الحصار الكبير من الصين إلى بغداد، وبذلك لا يأخذ وقتاً طويلاً في نقل المعدات الثقيلة عبر تلك المسافة الطويلة، كما قام بالسيطرة على جميع

---

[1]- مصطفى طه بدر: محنة الإسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على يد المغول، ط.2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1999م، ص 147.

[2]- الجويني: تاريخ جهنكشاي، ج.3، ص 93.

[3]- راغب السرجاني: قصة التتار من البداية إلى عين جالوت، المرجع السابق، ص 102.

[4]- نفسه، ص 103.

المدن والمراز التي تتحكم في محاور الطرق، وبذلك تجنب حدوث أي مباغتة أو قطع لطرق جيشه أثناء سيرها[1].

3- قام هولاكو بئرسال طليعة من الجيش للحفاظ على المراعي والمروج التي تقع على طول الطريق الذى من المفترض أن تمرّ منه الجيوش، ابتداء من جبال "قنغاى" بين العاصمة المغولية "قراقورم" و"بيش باليغ" وتركستان وخراسان وأقصى بلاد الروم وجرجان، حيث منعت الدواب من الرّعي هناك، وأمر بعدم الاقتراب من الجبال والوديان، فأصبح العشب كثيف[2]. وهذا ينم على مدى ذكاء هولاكو الشديد، وذلك لترك الأعشاب لتكفي طعام الأعداد الهائلة جداً من الخيول الخاصة بالفرسان، والدواب المكلفة بحمل العتاد الحربي والغذاء والخيام، وبذلك لا يحتاج أن يحمل معه طعاماً للحيوانات، ولا يتعرض لمفاجأة غياب الطعام، وهو كفقد البنزين بالنسبة للسيارات[3].

المحور الثاني الاستعداد السياسي والدبلوماسي:

بدأ المغول في محاولة عقد بعض الأحلاف السياسية مع بعض الأطراف وموازين القوى المختلفة، وذلك لضمان نجاح المهمة، وهذا تغير كبير في السياسة المغولية التي ما عرف عنها سابقا عقد تحالف، ولما كانت هذه الأحلاف في منتهى الأهمية والخطورة، فقد تكفل بها القآآن مونكو شخصياً، حيث:

1- استقبل سفارة صليبية أرسلت في سنة 651هـ من قبل "لويسس التاسع" ملك فرنسا، وقد كان يكن حقداً كبيراً على المسلمين بعد هزيمته في مصر سنة 648هـ، وقد تزعم السفارة الراهب "وليم روبروك"، وتفاوض مع الخان للتعاون معاً لضرب المسلمين[4].

2- عمل ملك أرمينيا النصراني "هيثوم الأول" على التحالف مع المغول، ودفعه إلى ذلك حقده الدفين على المسلمين والخلافة العباسية، فقد انتقل بنفسه إلى عاصمة المغول "قراقورم" وتقابل مع مونكوخان، وقد أقام له هذا الأخير احتفالا كبيرا، واستقبالا رسميا مهيبا، وعامله كملك لا كتابع، وإن كانت بنود الاتفاق بينهما لا تصلح إلا بين سيد وتابع، وقد ضمن له الخان سلامة ممتلكاته الشخصية بعد الغزو، وإعفاء الكنائس المسيحية والأديرة من الضرائب، مساعدته في استرجاع المدن التي أخذها السلاجقة المسلمون منه، اعتباره كبير مستئاري الخان الكبير، فيما يخص شؤون غرب آسيا، في المقابل سيستفيد المغول من خبرة ملك أرمينيا في حربه ضد المسلمين، وقد توكل إلى القوات الأرمنية بعض المهام الصعبة، والتي يرغب المغول تجنبها، وبذلك تكون الخسارة البشرية في جانب الأرمن، وسوف يكون هيثوم هو وسيطه للتعامل مع النصارى سواء في الشام أو أوروبا، وكذلك الإتحاد مع مملكة

---

[1]- راغب السرجاني: قصة التتار من البداية إلى عين جالوت، المرجع السابق، ص 103.

[2]- الجويني: تاريخ جهنكشاي، المصدر السابق، ج.3، ص 94.

[3]- السرجاني، المرجع السابق، ص 104.

[4]- نفسه، ص ص، 104-105.

أرمينيا سيكون لع عامل نفسي عند المسلمين، فالحرب مع المغول وحدهم ليس كالحرب مع قوات التحالف[1].

3- عقد تحالفات مع أمراء الممالك الصليبية في الشام، مقابل إعطائهم بيت المقدس كهدية، وقد أوكلت هذه المهمة إلى ملك أرمينية هيثوم، الذي استطاع اقناع كل من أمير أنطاكية "بوهيمند" وأمير مملكة الكرج في التحالف مع المغول، في حين فشل في إقناع الأخرين، لعدة أسباب[2].

4- والشيء المخزي أن هولاكو إستطاع توقيع أتفاقيات تعاون مع بعض الأمراء المسلمين، مثل حاكم الموصل "بدر الدين لؤلؤ"، وسلطانا السلاجقة "كيكاوس الثاني" و"قلج أرسلان الرابع"، المسيطران على شمال العراق وتحالفهما سيؤدي إلى حصار العراق من الشمال، كما إنضم إلى هؤلاء "الناصر يوسف" أمير حلب ودمشق، إضافة إلى "الأشرف الأيوبي" أمير حمص، كما عقد هولاكو إتفاق مع وزير الخليفة العباسي نفسه "مؤيد الدين العلقمي الشيعي[3].

المحور الثالث: الحرب النفسية على المسلمين:

من خلال شن بعض الحملات الإرهابية في المناطق المحيطة بالعراق، وكذلك الحرب الإعلامية، وكتابة الرسائل التهديدية...[4].

بعد الإنتهاء من الإعداد للحملة لم ينس الخان مونكو أن يضع لهولاكو خطة العمل ويزوده بما يلزمه من النصائح، فقال له:" **إنك الآن على رأس جيش كبير، وقوات لا حصر لها، فينبغي أن تسير من توران إلى إيران، وحافظ على تقاليد جنكيزخان وقوانينه، في الكليات والجزئيات،وخص كل من يطيع أوامرك، ويجتنب نواهيك، في الرقعة الممتدة من جيحون حتى أقاصي بلاد مصر، بلطفك وبأنواع عطفك وإنعامك، أما من يعصيك، فأغرقه في الذلة والمهانة مع نسائه وأبنائه وأقاربه، وكل ما يتعلق به، وابدأ بإقليم قهستان في خراسان، فخرب القلاع والحصون، وإذا فرغت من هذه المهمة، فعليك أن تتوجه إلى العراق، وأزل من طريقك اللور والأكراد، الذين يقطعون الطرق على سالكيها، وإذا بادر خليفة بغداد بتقديم فروض الطاعة، فلا تتعرض له مطلقا، أما إذا تكبر وعصى، فألحقه بالآخرين من الهالكين، كذلك ينبغي أن تجعل رائدك في جميع الأمور، العقل الحكيم والرأي السديد، وأن تكون في جميع الأحوال يقظا عاقلا، وأن تخفف على الرعية التكاليف والمؤن، وأن ترفه عنهم، وأما الولايات الخربة فعليك أن تعيد تعميرها في الحال، وثق أنك بقوة الله العظيم، سوف تفتح ممالك الأعداء،**

---

[1]- السرجاني، المرجع السابق ، ص ص، 105-108.

[2]- نفسه، ص ص، 109-110.

[3]- نفسه، ص ص، 110-111.

[4]- نفسه، ص ص، 114-116

حتى يصير لك فيها مصايف ومشاتي عديدة، وشاور دوقوزخاتون في جميع القضايا والشؤون"[1].

ثانياً- القظاء على الطائفة الإسماعلية:

خرج هولاكو على رأس الجيش من عاصمة المغول قراقورم في سنة 651هـ/1253م. ووصل إلى سمرقند في سنة 653هـ/1255م، واستراح في مراعي(كان كل)، حيث أقام له مسعود بك خيمة مطرزة، فقضى 40 يوما هناك. ثم رحل إلى مدينة كش ومكث فيها شهرا، وأسرع إليه الأمراء المسلمين مقدمين له فروض الطاعة.

ثم وجه نداء لسلاطين إيران لتخلص من الإسماعيلية، جاء فيه:**"بناء على أمر القاآن قد عزمنا على تحطيم قلاع الملاحدة(الإسماعلية)، وإزعاج تلك الطائفة، فإذا أسرعتم وساهمتم في تلك الحملة بالجيوش والعدد والآلات، فسوف تبقى لكم ولاياتكم وجيوشكم ومساكنكم، وستحمد لكم مواقفكم، أما إذا تهاونتم في إمتثال الأوامر وأهملتم، فإننا حين نفرغ بقوة الله تعالى من أمر الملاحدة، فإننا لا نقبل عذركم، ونتوجه إليكم فيجري على ولايتكم ومساكنكم ما يكون قد جرى عليهم"[2]. فسارع إلى نصرته**: ملك هراة(شمس الدين كرت) وأتابك فارس(السلغري أبي بكر سعد بن زنكي). ورفض الخليفة إرسال المدد.

ويذكر المؤرخ الجويني الذي كان مصاحباً للحملة أنه بمجرد إطلاع حاكم الطائفة الإسماعلية "ركن الدين خورشاه"، وأنه لا قبل له بردها، قرر الخضوع والطاعة للمغول، فقبل هذا الخير بشرط أن يأتي بنفسه وتقديم ولاء الطاعة له، وضرورة تخريب القلاع التي يتحصن فيها جيشه، ولما سمع "ركن الدين خورشاه" بذلك تراجع عن رأييه وأثر مقاومة المغول[3].

وقد عمد "ركن الدين خورشاه" إلى إخلاء نحو خمس قلاع، لم يكن بها مخازن المؤونة والأسلحة أصلاً، ونزع منها الأبواب كما أخلى منها المقاتلين، ضنا منه بأنه يستطيع مراوغة المغول، ولكن هولاكو قام بتجميع كل قواته بما فيها التي كانت بالعراق وغيره من الأطراف، وشن هجوما قويا على قلاع الإسماعلية، وأول قلعة سقطت في يده هي قلعة "شاهدز"، ثم بدأت القلاع تسقط الواحدة تلو الأخرى في يد المغول[4]. وقد تمكن المغول من إخضاك جميع قلاع الإسماعلية بما فيها قلعة "ألمت" في أواخر ذي القعدة من سنة 654هـ /أوائل ديسمبر 1256م، وتم تخريب جميع القلاع، وبعد الإنتصار جاء جميع حكام النواحي لتقديم ولاء الطاعة لهولاكو[5].

---

[1]- رشيد الدين فضل الله الهمذاني: جامع التواريخ، تاريخ المغول –الإيلخانيون تاريخ هولاكو-، ترجمة: محمد صادق نشأت وأخرون، راجعه وقدم له: يحى الخشاب، مج2، ج1، دار إحياء الكتب العربية، ص ص، 236-237.

[2]- نفسه، مج2، ج1، ص 239- 240.

[3]- الجويني: تاريخ جهنكشاي، المصدر السابق، ج.3، ص 104.

[4]- نفسه، ج.3، ص ص، 105-106.

[5]- نفسه، ج.3، ص 127-128.

وفي نفس السنة سلم خورشاه نفسه لهولاكو، فأكرمه وأسكنه مدينة قزوين. ثم أرسله إلى الخان ليرى ما يفعل به، وعندما علم الخان ذلك بعث مرسول لأتباعه، قائلا: **لماذا تحضرونه وتشقون بذلك عبثا على الدابة التي يركبها؟** وبعث من تخلص منه. وقتل كل أسرته ونسله.

ثالثاً- إسقاط الخلافة العباسية:

1- الرسل بين هولاكو والخليفة العباسي:بعد إنتهاء هولاكو من الإسماعيلية، أرسل رسولا في شهر 10رمضان 655هـ/1257م إلى الخليفة المستعصم بالله(640-656هـ/1242-1258م)، يهدده ويتوعده عن امتناعه إرسال المدد له، جاء فيها: "لقد أرسلنا إليك رسلنا وقت فتح قلاع الملاحدة، وطلبنا مددا من الجند، ولكنك أظهرت الطاعة ولم تبعث الجند، وكانت آية الطاعة والاتحاد، أن تمدنا بالجيش عند مسيرنا إلى الطغاة، فلم ترسل إلينا الجند، والتمست العذر، مهما تكن أسرتك عريقة، وبيتك ذا مجد تليد...**ولا بد أنه قد بلغ سمعك على لسان الخاص والعام، ما حل بالعالم والعالمين على يدي الجيش المغولى، منذ عهد جنكيزخان إلى اليوم، والذل الذي لحقت بأسر الخوارزمية والسلجوقية وملوك الديالمة والأتابكة وغيرهم، ممن كانوا ذوى عظمة وشوكة، وذلك بحول الله القديم الدائم، ولم يكن باب بغداد مغلقا في وجه أية طائفة من تلك الطوائف،واتخذوا منها قاعدة لهم، فكيف يغلق في وجهنا رغم ما لنا من قدرة وسلطان؟ وقد نصحناك قبل، والآن نقول لك: احذر الحقد والخصام، ولا تضرب المخصف بقبضة يدك، ولا تلطخ الشمس بالوحل فتتعب، ومع هذا مضى ما مضى، فإذا أطاع الخليفة فليهدم الحصون، ويردم الخنادق، ويسلم البلاد لابنه، ويحضر لمقابلتنا، وإذا لم يرد الحضور، فليرسل كلا من الوزير وسليمان شاه والدواندار، ليبلغوه رسالتنا زيادة أو نقصان، فإذا استجاب لأمرنا، فلن يكون من واجبنا أن نكن له الحقد، وسنبقى له على دولته وجيشه ورعيته. أما إذا لم يصغ إلى النصح، وآثر الخلاف والجدل، فليعبئ الجند، وليعيين ساحة القتال، فإننا متأهبون لمحاربته، وواقفون له على استعداد، وحينما أقود الجيش إلى بغداد، مندفعا بسورة الغضب، فإنك لو كنت مختفيا في السماء أو في الأرض، فسوف أنزلك من فلك الدوار، وسألقيك من عليائك إلى أسفل كالأسد، ولن أدَعَ حيا في مملكتك، وسأجعل مدينتك وإقليمك وأرضك طعمة للنار، فإذا أردت أن تحفظ رأسك وأسرتك، فاستمع لنصحي، بمسمع العقل وذكاء، وإلا فسأرى كيف تكون إرادة الله"[1].**

فرد الخليفة بالرفض، وبعث له رسالة جاء فيها: **"أيها الشاب الحدث! ...المتمنى قصر العمر، ومن ظن نفسه محيطاً ومتغلبا على جميع العالم مغتراً بيومين من الإقبال، متوهما أن أمره قضاء مبرم وأمر محكم، لماذا تطلب منى شيئاً لن تجده عندى؟! ألا يعلم الأمير أنه من الشرق إلى الغرب، ومن الملوك إلى الشحاذين، ومن الشيوخ إلى الشباب ممن يؤمنون بالله ويعتنقون الأديان، كلهم عبيد هذا البلاط وجنود لي؟! وإنني عندما أشير بجمع الشتات، سأبدأ بحسم الأمور في إيران، ثم أتوجه منها إلى بلاد توران، وأضع كل شخص في موضعه، وعندئذ سيصير وجه الأرض جميعه مملوءًا بالقلق والاضطراب... فإذا كنت مثلي تزرع بذور المحبة، فما شأنك**

[1]- رشيد الدين فضل الله الهمذاني: جامع التواريخ، تاريخ المغول، المصدر السابق، مج2، ج1، ص ص، 267-268.

بخنادق رعيتي وحصونهم؟! أسلك طريق طريق الود، وعد إلى خراسان، وإن كنت تريد الحرب والقتال، فلا تتوان لحظة ولا تعتذر، وإذا استقر رأيك على الحرب، فإن لي ألوف مؤلفة من الفرسان والرجالة هم على أهبة الاستعداد للقتال"[1].

رد هولاكو برسالة شديدة اللهجة جاء فيها:**"لقد فتنك حب الجاه والمال، والعجب والغرور بالدولة الفانية، بحيث أنه لم يعد يؤثر فيك نصح الناصحين بالخير، وإن في أذنيك وقرا، فلا تسمع نصح المشفقين، ولقد انحرفت عن طريق آبائك وأجدادك، وإذن فعيك أن تكون مستعدًا للحرب والقتال، فإني متوجه إلى بغداد بجيش كالنمل والجراد، ولو جرى سير الفلك على شاكلة أخرى، فتلك هي مشيئة الله العظيم"**[2]. هنا استشار الخليفة وزراءه، فأشار عليه ابن العلقمي بضرورة ترطيب الأجواء وبعث الهدايا إلى هولاكو مع الاعتذار، وذكر اسمه في الخطبة، وينقش اسمه على السكة، على نحو ما كان عليه في عهد البويهيين والسلاجقة.غير أن مجاهد الدين أيبك الدواتدار الصغير رفض الاقتراح، فوافقه الخليفة[3].

2- إحتلال بغداد 1258م:

لما تخلص هولاكو من الإسماعيلية توجه إلى همذان،واجتمع مع كبار مستشاريه في مجلس حرب يعد من أهم المجالس في تاريخ المغول، من أجل أخذ القرار بغزو بغداد. قسم جيشه إلى ثلاثة أقسام:

1- **الجيش الأول:** هو القسم الرئيسي تمثل في القلب يقوده هولاكو، وستلحق به إمدادات باتو وفرق الأرمن والكرج، مهمته حصار بغداد من الجهة الشرقية.

2- **هو الجناح الأيسر**، يقوده كتبغا، مهمته حصار بغداد من الجنوب

3- **الجيش الثالث:** الرابض على أطراف الأناضول المكلف بفتح أوروبا، على رأسه بيجو، مهمته حصار بغداد من الشمال[4].

انتهت قصة بغداد، وخرج منها المغول بعد أربعين يوما من القتل والتدمير.أما هولاكو فقد انسحب من بغداد إلى همذان بفارس، أما هولاكو فقد توجه من بغداد إلى همذان بفارس، ثم توجه إلى قلعة "شها" على شاطئ بحيرة "أورمية" بإيران،.بعد أن ترك حامية حول بغداد، وبدأ يفكر في الخطوة التالية، والمتمثل في السيطرة على بلاد الشام، ثم عاد إلى همذان ليدير المعركة وبدأ في دراسة الخطة، وفي هذه الأثناء جاء حلفاء المغول يهنؤونه بالإنتصار، على رأسهم(بدر الدين لؤلؤ أمير الموصل+ الأمير كيكاوس الثاني والأمير قلج أرسلان الرابع+الأمير

---

[1]- رشيد الدين فضل الله الهمذاني: جامع التواريخ، تاريخ المغول، المصدر السابق، مج2، ج1، ص ص، 269-270.

[2]- نفسه، مج 2، ج 1، ص 271.

[3]- نفسه، مج 2، ج 1، ص ص، 271-272.

[4]- نفسه، مج2، ج1، ص ص، 281-282.

الأشرف الأيوبي أمير حمص+ الأمير الناصر يوسف حفيد صلاح الدين الأيوبي أمير حلب ودمشق)، هؤلاء الأمراء يمثلون معظم شمال العراق وأرض الشام والأناضول[1]. وبقى المشكل هو أن أمير مايافارقين لم يحضر؟

3- **إسقاط ميافارقين:** المشكل الذي صادف المغول هو أن حاكم مدينة ميافارقين الأمير (الكامل محمد الأيوبي) الذي لم يهرع لمساندة التحالف وتهنأة هولاكو، وفضل المقاومة والجهاد.حاصر أشموط المغولي المدينة بعد 4 أشهر من إسقاط بغداد، وحاولوا تخويف حاكمها وإقناعه بالعدول عن فكرة الجهاد[2].

4- معركة عين جالوت وانكسار جيش المغول 1260م:تمكن المغول من السيطرة على مدينة حلب.ثم على دمشق التي يحكمها الناصر يوسف. في هذه الأثناء مات مونكو في منغوليا فرحل هولاكو متجها إلى قراقورم لكنه توفي في تبريز بعد أن وصل إلي مسامعه نبأ انكسار جيشه في عين جالوت[3].

---

[1]- راغب السرجاني، المرجع السابق، ص ص، 171-173.

[2]- نفسه، ص ص، 175-176.

[3]- رشيد الدين فضل الله الهمذاني: جامع التواريخ، تاريخ المغول، المصدر السابق، مج2، ج1، ص ص، 312-313.